

طلعة الشمس

(سنن نوارانية من الأخبار النبوية)

د. حمزة بن فايع آل فتحي

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ ** في طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ

المتنبي

بسم الله الرحمن الرحيم

"لستُ تاركًا شيئًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركتُ شيئًا من أمره أن أزيغ". أبو بكر رضي الله عنه.

"حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ" ابن مسعود رضي الله عنه .

■ "لا رأيَ لأحدٍ مع سُنَّةِ سَنِّهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ". الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله .

■ يَا عِبَادَ اللَّهِ الْخَشْبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَيْهِ لِقَائِهِ" . الإمام الحسن البصري رحمه الله .

■ "من ردَّ حديثَ النبي صلى الله عليه وسلم، فهو على شفا هلكة". الإمام أحمد رحمه الله.

فهرس الموضوعات

- ١ فهرس الموضوعات.
- ٤ البدء.
- ٦ /١ رُزِقْتُ حَبَّهَا!
- ٩ /٢ تَظْلِمُونَ خَالِدًا!
- ١٢ /٣ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ!
- ١٥ /٤ خَيْرِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ!
- ١٨ /٥ أَوْ فِي شِكِّ أَنْتِ يَا ابْنَ الْخَطَابِ
- ٢١ /٦ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسُهُ!
- ٢٤ /٧ لِمَكَانِ ابْنَتِهِ!
- ٢٧ /٨ نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ!
- ٣٠ /٩ أَوْ لِكُلِّكُمْ ثَوْبَانِ
- ٣٢ /١٠ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ!
- ٣٥ /١١ إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مِنْ لَا خَلْقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ!
- ٣٨ /١٢ وَأَنَا وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا بَعْدُ!
- ٤١ /١٣ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُوتِرَ أَتَقْظَنِي فَأَوْتِرْتُ!
- ٤٤ /١٤ كَانَتْ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ!
- ٤٧ /١٥ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا!

- ١٦ / حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ ! .. ٤٩
- ١٧ / مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ! .. ٥١
- ١٨ / اقسموا واضربوا لي معكم سهماً ! .. ٥٤
- ١٩ / فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ ! .. ٥٧
- ٢٠ / يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَى اللَّهِ عَنْهُ ! .. ٥٩
- ٢١ / مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ ! .. ٦١
- ٢٢ / حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ! .. ٦٤
- ٢٣ / لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَاتَهُ رِيحًا ! .. ٦٧
- ٢٤ / وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ ! .. ٧٠
- ٢٥ / لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ ! .. ٧٢
- ٢٦ / أَقْبِلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ ! .. ٧٥
- ٢٧ / لَكِنِّي أَصَلِّي، وَأَنَامُ، وَأَصُومُ، وَأَفْطِرُ ! .. ٧٧
- ٢٨ / وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً ! .. ٨٠
- ٢٩ / فَأَرَصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ! .. ٨٣
- ٣٠ / غِنَى النَّفْسِ ! .. ٨٦
- ٣١ / وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ ! .. ٨٩
- ٣٢ / فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ ! .. ٩٢
- ٣٣ / يَا خِيبةَ الدهرِ ! .. ٩٥

- ٩٨ / ٣٤ / سُكَّةٌ يَتَطَيَّبُ مِنْهَا! ..
- ١٠١ / ٣٥ / عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ...!
- ١٠٤ / ٣٦ / مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ...!
- ١٠٧ / ٣٧ / لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ...!
- ١١٠ / ٣٨ / فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ...!
- ١١٣ / ٣٩ / مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ...!
- ١١٦ / ٤٠ / وَأَهْلَهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ...!
- ١١٩ / ٤١ / وَابِكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ...!
- ١٢٢ / ٤٢ / قَالَتْ: إِذَا لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعْتُ...!
- ١٢٥ / ٤٣ / أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا...!
- ١٢٨ / ٤٤ / وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ...!
- ١٣٠ / ٤٥ / مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ...!
- ١٣٣ / ٤٦ / الْغَنِيِّ الْخَفِيِّ...!
- ١٣٦ / ٤٧ / أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ...!
- ١٣٩ / ٤٨ / فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَنْكَشَفَ...!
- ١٤٢ / ٤٩ / أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ...!
- ١٤٥ / ٥٠ / وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ...!

البدء

الحمدُ لله ربَّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على خاتم النبيين

وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد :

فها هنا سننٌ موروثة، وأحاديثٌ مبثوثة ، من طلعة شمسٍ معشوقة
، أشرفت في كلِّ الأنحاء ، وضربت في جميع الأرجاء ، وهزت
أنوارها البرِّ والبحر ، وسارت مع الليل والنهار ، فلا يُحصى كم
جامعٍ لها ومرتقب ، ومن ناصر لها ومقتدر ، ردها الكبار ،
وحفظها الصغار ، وخطبَ بها الشيوخ والأدباء .

حتى صار حقاً على محبيها نشرها في الخلائق ، والتمادي بها في
الأنام، وتقريبها في الطلاب والتلامذة ..! وقد تحصل ذلك لراقمه

بحمد الله في عدة مصنفات، وهذا من آخرها (طلعة الشمس).

وقد ناسبَ نعتَه بيت شعر المتنبي :

حُذِّمَ مَا تَرَاهُ وَدَعَّ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ ** فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَن زُحَلِ

لَيْتَ الْمَدَائِحَ تَسْتَوِي مَنَاقِبَهُ ** فَمَا كُؤَيْبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصِرِ الْأَوَّلِ

فنحن أهل الإسلام في شمس من النبوة ، وأقمار من الخيرات ،

علينا الحفاظ عليها والتشبث بها، جعلنا الله وإياكم من أهلها

وأنصارها ... والله الموفق .

محايل عسير

١٨ / ٧ / ١٤٤٣ هـ

١ / رُزِقَتْ حُبَّهَا..!

■ كثيراً ما تنهارُ العلاقاتُ الزوجية من جراءِ الخلافات، وتنشُبُ مشكلاتٌ من فقدانِ الثقة المتبادلة، وتضعفُ العواطفُ بسببِ الفصالِ المادي، فباتتِ الوشائجُ مشروطةِ الثمن، وانزاحت عنها الرحمة، وتلاشتِ المودة، وهي رباطُ الزوجِ الوثيقِ كما قال تعالى: (وجعل بينكم مودةً ورحمةً). وإذا انعدم الحب بينهما والتراحم، تراجعتِ العلاقة،..! ولذلك لا يذبلُ الحب بين الزوجين إلا لأسبابٍ قاتلةٍ لمعانيه ودواعيه، وقد عده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رزقا يمتن اللهُ به على عباده، وقال في حديثِ غيرهِ عائشةُ من خديجةِ رضي اللهُ عنهما، وهو يهدي لحمَ الشاةِ عنها فيقولُ: "أَرْسَلُوا بِهَا إِلَيَّ أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ".

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا". رواه مسلم.

■ فدقق في هذه العبارة الجميلة ، وارسم عليه دائرة ذهبية (رزقتُ حبها) فالحبُّ رزق، والعاطفة المتبادلة رحمة، والمشاعر الشفافة صلوات ومودة. فالله أنعم عليه بامرأة صالحة أثرته بنفسها ومالها ، فأحس منها الصدق ولطف المعشر ، فوهبه الله محبتها ، وغرس في قلبه الارتياح منها واشتدت عاطفته تجاهها ، لا سيما وهي المناصرة له دعويا واجتماعياً ونفسيا (أبشر لا يخزيك الله أبداً)..، وقد أسلمت أولاً، ورحبت بدينه الجديد ، وقدمت كلَّ صور المواساة له مالا وجاهًا ، ولم تبخل بشيء من ذلك !...

■ ولذلك حفظ لها ذلك الجهد والعهد، وحسن العهد من الإيمان ، فلم يعدد عليها في حياتها، وحزن لفقدانها وتأسف ، وذكر من فضائلها أتى جبريلُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله، هذه خديجةٌ قد أتتْ، معها إناءٌ فيه إدامٌ أو طعامٌ أو شرابٌ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربِّها ومنِّي، وبشْرُها بيبي في الجنة من قَصَبٍ لا صَخَبٌ فيه ولا نصبٌ " كما في البخاري . والقصب هو اللؤلؤ المجوف . وقيل النُّكْتة في قوله: " مِنْ قَصَبٍ " وَلَمْ يَقُلْ مِنْ لَوْلُؤٍ أَنَّ فِي لَفْظِ الْقَصَبِ مُنَاسَبَةٌ لِكُونِهَا أَحْرَزَتْ قَصَبِ السَّبَقِ بِمُبَادَرَتِهَا إِلَى الْإِيمَانِ دُونَ غَيْرِهَا...! والله الموفق .

١٢ / تَظْلَمُونَ خَالِدًا..!

■ في لحظاتٍ معينة تحتاجُ إلى من يذبُّ عنك، ويشرح موقفك، وينصرك حين يقل الناصر، ويعز المعين لا سيما ورؤوس تنتظر الزلاّت ، وألسنة تلوك الشائعات ..! ولذلك انبرى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدفاع عن أحد قادة الإسلام، وسيف الله المسلول بقوله : إنكم تظلمون خالدًا..! فكانهم اتهموه بترك الزكاة، وتناسوا افضاله ومنجزاته ..! جاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُمَرَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَقِيلَ : مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَالْعَبَّاسُ عَمَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ، إِلَّا أَنَّهُ

كَانَ فَقِيرًا، فَأَغْنَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا خَالِدٌ، فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا قَدْ
اِحْتَبَسَ أَذْرَاعَهُ، وَأَعْتَادَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْعَبَّاسُ فَهِيَ عَلَيَّ
وَمِثْلُهَا مَعَهَا". ثُمَّ قَالَ: "يَا عُمَرُ، أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ
صِنُّ أَبِيهِ".

■ وما أجمل أن يكون الذابُّ المدافع رسولنا الكريم ، الذي هو
أدرى بصحابته، وفاضلهم من مفضولهم وجادهم من
مقصرهم ، وهو المعلمُّ من الله ، فلما دعوا الى إعطاء الزكاة،
اعتذر خالد رضي الله عنه بأنه ليس عنده شيءٌ ، فاتهم وما دروا
أنه أوقفها كلها ، أي آلات الحرب في سبيل فلم يبق عنده شيء
للزكاة ..! وهذا أيضًا من تمام عدل رسول الله وإنصافه ،

وحفظه لجهد أصحابه ..! لا سيما وقد عُرف خالد بحسن

السيرة والجهاد ومقارعة أعداء الله ورسوله .

■ ونتعلمُ هنا فضيلة الدفاع عن أعراض المؤمنين وإنصاف

الآخرين ، وأن التهمة بلا دليل ظلم وتأنيب، وقد صح قوله

صلى الله عليه وسلم : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) وقال :

(مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ ؛ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

وأن ذلك من مقتضيات الإخوة الإيمانية .. والسلام .

٨٣ / أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ..!

■ يلمع الطيبُ ويضوعُ في شخصياتٍ، فيدلُّ عليها ويعرّفُ بها، ومن خلالهم تُعطرُ المجالسُ، وتنتشرُ الروائحُ، وتستطابُ الأحاديثُ. وللجمعةِ جمالٌ يكمنُ في آدابها وحسنِ الاستعداد لها بالطهر والاعتسال والملابس والطيب البيتي الفائق، وفي ذلك تجملٌ ووقار، وأدبٌ واحتفال، وانسراح وإقبال، ولذلك نبه صلى الله عليه وسلم عليه كما في الصحيح، في تنبيهه لطيف يوم الجمعة..

عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ

يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا
بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى .

■ ومن الضروري أديباً مسُّ الطيب، والتفنن في الرائحة الطيبة
توقيراً للمسجد والملائكة وللناس أجمعين ، لا سيما أهل
المهنة.. وفي قوله (من طيبِ بيته) دليلٌ على استحباب طيب
مخصوص له، يعده لمثل هذه المناسبات الدينية والاجتماعية،
وفي رواية أبي داود: (من طيبِ امرأته). وأن المرأة تشارك
زوجها في التجميل لهذه الفريضة الأسبوعية ، ولا غضاضة من
استعمال طيبها، ما دام أنه مألوفُ الاستعمال..!

■ وللطيب فضلٌ مخصوص في الإسلام ، وقد عُرف صلى الله
عليه وسلم بمحبته وعدم رده، فقال: (حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ

ثلاثٌ : الطيبُ، والنساء، وجُعِلت قرءةٌ عيني في الصلاة). وفي الصحيح " أنه صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَرِدُ الطيبَ " ، وصحَّ قوله: (من عُرِضَ عَلَيْهِ طيبٌ فَلَا يَرُدُّه؛ فَإِنَّهُ طيبٌ الرِّيحُ ، خفيفُ المحمل). وفي رواية: (ریحان). وعللوا أنه لا يرد الطيب لمحبته فيه، ولحاجته إليه أكثر من غيره؛ ولأنه يناجي من لا يناجي، وأما نهيه عن رد الطيب فهو محمول على ما يجوز أخذه ، وليس ما عداه إذا خالطته شائبة . وفي الطيب صحةٌ وذوقٌ، ومكارمٌ أخلاقٍ وانبساطٌ ، وخيرٌ ما يبذل فيه بيوتُ الله ، ثم مجالسُ الناس وملاقاتهم، والله الموفق .

١٤ / خيرية أهل الإسلام..!

- كثيرون هم الباحثون عن أفضل الأعمال في الإسلام ، وأي خصال الإسلام أخير ، وكيف نبليغ الفضائل .. وما هي أجمل صفات المسلم في الديانة، ويجب صلى الله عليه وسلم كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الإسلام خير؟ قال : " تُطعمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ ". فأرشد إلى خصلتين عظيمين يسيرتين، معلومتين عند الناس، ولكننا قد نتكاسل فيها، ونرجئها دائماً. (الإطعام وإفشاء السلام) !.
- فالإطعام محتاج إليه على الدوام لأنه فطرة بشرية ، والسلام ملموس مطروق في كل الأوقات لاجتماع الناس الدائم

ومدينتهم الموجهة لتلاقيهم، والأول يحصل بأدنى رزق، ولو بشق تمر، والثاني لا يكلف جهداً ولا مالاً، وهذه رحمة من الله تعالى ..!

■ ويدخل في الطعام : الصدقة والبذل، والضيافة والإحسان، وصنائع المعروف، وتفطير الصائمين، وغوث المساكين، ومهاداة الجيران، وقد كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وهو أجود بالخير من الريح المرسلة .

■ وإفشاء السلام تعني قراءته على من عرفت ومن لم تعرف، فُتحصدُّ الحسنات، وتبثُّ التواضع والأخلاق، ويعم الخير والتواد، وتندفعُ عنك تهمةُ التكبر والتصنع والمداهنات، وإفساد بعض القلوب على بعض. وليعلم أن تعميمه سببٌ

للتأليف ، وتخصيصه في جهة من الجهات من علامات الساعة
، كما قد صح قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إن من أشراط
الساعة: أن يُسَلَّمَ الرجلُ على الرجلِ لا يُسَلِّمُ عليه إلا
للمعرفة) والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

٥/ أو في شك أنت يا ابن الخطاب...؟!

■ من سمات المسلمين زهدهم في الدنيا، وتعلقهم كثيرا بالآخرة والتماس أسبابها، وجعلهم هذه الدار قنطرةً إلى الآخرة، مع عدم إهمالها.. ولذلك قد تضيق عليهم الدنيا، وتتسع لآخرين ابتلاءً من الله وتمحيصاً، كما قال سبحانه: (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) سورة محمد. فلا يسوغُ أن يحملنا ذلك على التشكك في ديننا، أو أننا على اعوجاج وسوء فهم...! كلا... ولكن سعينا للآخرة أعظمُ وأكد...! جاء في حديث الإيلاء الطويل عن عمر رضي الله عنه، لما رأى نومَه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحصير قال: قلت يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهُ فليوسعْ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؛ فَإِنَّ

فَارِسَ وَالرُّومَ قَدْ وَسَّعَ عَلَيْهِمْ، وَأَعْطُوا الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ

اللَّهُ. فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مُتَكِنًا، فَقَالَ :

"أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ، إِنَّ أَوْلِيكَ قَوْمٌ عَجَّلُوا

طَيِّبَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي .

■ فانبساط الدنيا على الأعداء لا يعني شرفهم العالي، ولا هواننا

النازل.. ولا يقتضي قربهم من الله وبوننا نحن ..! بل هو ابتلاء

من الله لنا ولهم ، وقد اقتضت حكمته اختبار أهل الإيمان ،

والانبساط لأهل الطغيان ، ثم عظمة الآخرة تأخذ بذوي

الألباب عن الدنيا وزخرفاتها...! وما ينبغي لمثل هذه

العوارض أن تضر أصل الهداية والاستقامة .

■ ولذلك يُبتلى المؤمنون بالفقر حفاظا على دينهم ومبادئهم ،
وتفتح الطيبات العاجلة للذين طغوا وبغوا، زيادةً لهم في الإثم،
وتصبرا لآخرين كما قال سبحانه : (**إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزِدُوا**
إِثْمًا). فاطرحوا الشكوك عنكم في غنى الكافرين ، وفقر
المؤمنين ، فليس كلُّ معايير الحياة صالحةً للتقويم .. والسلام
سورة آل عمران.

٦/لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ...!

■ عبارة تعلمنا معنى الصلاة الحقيقي ، وجوهرُ الاقبال النفسي ،
وكيفية الاستحضار الإلهي ، وأنك في طاعةٍ جليلة ، وبين يدي
الملك العلام تبارك وتعالى ... فاترك الدنيا وراءك ، ونق
قلبك ، ونظم جوارحك ، وادخل فيها بخشوع ومصداقية ،
وعلى أهبة وانسيابية ، فلا شرود ولا حركة ، ولا تلفت ولا
تخبطات ... (الصلاة الصلاة ، وما ملكت أيمانكم) ويسبقها
استعدادٌ بالطهارة واستكمال ، وانسراح للقلب واستنهاض ..
جاء في المتفق عليه عن حُمْرَانَ - مَوْلَى عُمَانَ رضي الله عنه -
أَنَّهُ رَأَى عُمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِإِنَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى كَفِّهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ ،
فَغَسَلَهُمَا ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ ، فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ ، ثُمَّ

غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ
بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ : قَالَ : قَالَ :
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي
هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِهِ " .

■ وضوء تام ، وخلوة صامتة، تتذلل لخالقها ذكرًا وإنابة ،
وتجاهد نفسها في الإعراض عن الدنيا فكرًا وتهممًا، بحيث
يقطع كل أحاديث الدنيا وأفكارها الشاغلة... والمراد به ما
تسترسل النفس معه ويمكن المرء قطعه؛ وإلا فالعواطف مع
المرء ويصعب دفعها بالكلية ، إلا لبعض الخواص ، وهم من
تعلقت قلوبهم بالله تعالى !..

■ والثواب " غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " فضلٌ عظيم يتكرر معنا عند تكرر الصلوات كنوافلها الأولية ، أو ما يبادر فيه العبد تأسياً بهذا الحديث الشريف ، وطلباً لتلك الفضيلة المهجورة... فجاهد نفسك في إحيائها ، وتخفف من عوالم الدنيا، وادخل صلاتك مستحضراً عظمة الخالق ، وعش في معاني الايمان ، وبينات القرآن ، ومتى حل الصدق المنير ، والرغبة الجادة هطلت الفتوحات من الحيّ القيوم.. والله الموفق .

٧/ مكان ابنته..!

■ ما أجملَ تخلقنا بالحياء الشرعي، الذي يحملنا على فعل الجميل ، وترك القبيح، فتأدبُ في أفعالنا ، ونزن أفعالنا ، ونضبط تصرفاتنا ، كما فعل علي رضي الله عنه وهو صهر رسول الله ونسيبه وحبيبه، ولكنه لم يُظهر أسئلة المعاشرة أمام الوالد الكريم أدبًا ووقارًا، ولم يباشرها بنفسه .. يقول كما في الصحيحين : كُنْتُ رَجُلًا مَدَّاءً ، فَأَمَرْتُ رَجُلًا أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَكَانِ ابْنَتِهِ، فَسَأَلَ فَقَالَ : تَوَضَّأُ، وَاغْتَسَلُ ذَكَرَكَ.

■ احتال على السؤال بصديق لطيف ، للمصاهرة بينهما ، وفي رواية (من أجل فاطمة) وكونها بنت رسول الله، ومن العيب

ذكر ما يستكره عند الأولياء والجناب النبوي . وهي قاعدة في الأدب تجاه أقارب الزوجة، لا تفتح هذه المواضيع ولا تذاع حفظا للود، ومراعاة للحرمة .

■ ونتعلمُ هنا ما كان الصحابة عليه من حرمة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتوقيره، وجمال الأدب في ترك المواجهة بما يستحي منه عرفا، وحسن المعاشرة مع الأصهار، وأن الحياء لا يمنع السؤال الديني المحتاج إليه ، عن طريق خلائق وأحبة...!

■ ونستفيدُ أن الحياة الزوجية عقدٌ وثيق ورباطٌ أصيل ، محفوفة بالآداب ، ومرعية بالأخلاق ، ومن أجل قيمها الحياء، وهو من الإيمان ، ولا يأتي إلا بخير ، وعليه فقد حرّم الإسلام نشر

أسرار الزوجة وما يكون في الفراش ، حفظاً للعشرة وصيانةً
للبيوت ، وتوفيراً للأنسَاب . قال عليه الصلاة والسلام : (إِنَّ
شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ ،
وَتُفْضِي إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا) . أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

٨ / نصرت بالرعب مسيرة شهر..!

■ مددٌ إلهي، وبشرى ربانية، وجنديٌّ لا يكاد يرى، لكن آثاره باديةٌ في تخوفهم من الإسلام، وهروبهم من أنواره، وكراهيتهم لمعالمه، مع ضعف من أهله قائم...! فكيف لو استعاد المسلمون قوتهم، ورجعوا إلى دينهم بصدق، ورفعوا رايته في كل مكان.. كيف سيكون حالهم ومنتهى عدوهم المتربص (نصرت بالرعب)... رعبٌ يقذفه الله في قلوبهم فتتخلع جيوشهم، وتبورُ أسلحتهم، وتتفرقُ جموعهم...! وقد قيل إن ذلك مخصوصٌ بالمصطفى عليه الصلاة والسلام، والصحيح عمومُه لبقية أمته، والواقع أكبر برهان على ذلك، فمظاهرُ رعبهم قد عبأت الآفاق، برغم ضعفنا وهواننا...!

■ في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ

قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجَعَلْتَ لِي الْأَرْضَ
مَسْجِدًا وَطَهُورًا ؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّ ،
وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيَتْ الشَّفَاعَةَ ،
وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً .

■ وبرغم ضعف المسلمين لا يزال أعداؤهم يرهبونهم على
الدوام، وفي انتصارات المسلمين عبر التاريخ ، كان لسلاح
الرعب أثر في الانتصار ، فهو من جنود الله وأفضاله على
عباده، قال في سورة بني النضير.. (فأتاهم الله من حيث لم
يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب) . وفي غزوة بدر: (إِذْ
يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا
سَأَلِيَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) [الأنفال ١٢] . وفي
غزوة أحد: (سَنَلِّي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا

أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ
مَثْوَى الظَّالِمِينَ) [آل عمران ١٥١]. وفي الأحزاب
:(وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا)
[الأحزاب ٢٦]. وهو سلاح تأييدي يُجعل لحفظ عباد الله
الصالحين كما في قصة الكهف: (وَنُقِلُّهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ
وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ
عَلَيْهِمْ لَوَلَّيَتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئَتْ مِنْهُمْ رُعبًا) [الكهف
١٨]. واستشعار مثل ذلك يمنحنا الطاقة والهمة

والمراجعة للعمل والإصلاح.. والسلام..!

٩ / أَوْلِكُلْكُمُ ثَوْبَانِ..!؟

■ ليست هذه الجملة مجردَ جوابٍ فقهيٍّ لسائلٍ متهمٍ ، بقدر ما هي توصيفٌ لحالةٍ فقريّةٍ مجتمعيةٍ ، وكشفٌ عن معاناةٍ شظفٍ العيش القديم . فالناس قليلة الطعام ، وقليلة اللباس ... فمن يملك القصور ، أو يرتدي عشرات الملابس ، وأصناف الطعام الملونة .. لا أحد .. فالناس في أوضاعٍ من الفقر والصبر والزهادة الشاملة ، ومع ذلك فهم مؤمنون متوكلون على الله ، وأعفّةٌ عما في أيدي الآخرين ، وكل سؤالاتهم صوب رسول الله ... جاء في الحديث المشهور عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ سَائِلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ . فَقَالَ : " أَوْلِكُلْكُمُ ثَوْبَانِ " .

■ والمعنى أن غالبَ الناس لا يملك ثوبين تقريبا ، فهم فقراء ، فيجزئ الثوب الواحد ما دام ساترا للعورة ، ويكفي الواحد ما

دام صفيقا، ويكفي الواحد ما دام لا يملك المصلي سواه،
فالدين يسرٌ، والله غفور رحيم . وقد قال الله تعالى : { ما جعل
عليكم في الدين من حرج } . سورة الحج .

■ ومن تمكّن من الستر الكامل ولبس ثوبين، فلا شك أنه أفضل
، ولكن يعزُّ مالكوه، ويختفي أغنياؤه...! وفي ذلك سماحةٌ من
الشارع ورحمة ، حيث يراعي أحوال الناس وظروفهم، قال
تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد لكم العسر) سورة البقرة .
وقد صلّى رسول الله وصحابته في ثوب واحد لا احتياجهم إلى
ذلك ، ومتى تحسنت الأمور للمؤمن تجمل في أحسن
الثياب وأبهاها ، فقد قال تعالى : (خذوا زينتكم عند كل
مسجد) . سورة الأعراف . والله الموفق .

١٠ / وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ !

■ إنما يفوز المبكرون الى أعمالهم بإصرار وإخلاص ،
والساعون إلى المعالي بلا تردد أو تاخر... والتهجير شكل
من المبادرة السريعة ، والسبق الحثيث إلى الصفوف الأول ،
وهو مستحب في الصلوات وفي كل طرق الخيرات ، قال
تعالى: (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) سورة آل عمران. جاء
في المتفق عليه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ
لَأَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ
حَبْوًا " .

■ وهو علامةُ الجِدِّ وعلوُ الهمة، وأخذُ الأمورِ بقوةً ، قال تعالى :
(خذوا ما آتيناكم بقوة) سورة البقرة والأعراف . ولو علم
الناس ثوابه وحسن عاقبته لاستبقوا معنى وشعورًا وتأهلاً ،
ومن يصيبه ويناله ، لأن الركض بالأقدام ممنوع ، والواجبُ
السكينة والوقار !..

■ والمُهَجَّرُ ينتهج الحضورَ المبكرَ والتأهلَ للصلاة ، والتفكير
فيها بالهيئة والطهارة ، بحيث لا يؤذن المؤذن إلا وهو في
المسجد أو دانٍ منه ، أو إذا سمع الأذان لم يشتغل بشيء آخر ،
تقول عائشة رضي الله عنها: " كان يكونُ في مهنةِ أهله ، فإذا
حضرتِ الصَّلَاةُ خرجَ " . وذلك من حرصه عليه الصلاة
والسلام ، ومن رامَ معالي الأمور والمراتب العليا في الدرجات

بادرَ وهجر ، وأعرض عن التسويف والإهمال ، ومن أرقته
الهمة العالية، أفلحَ وحقق مبتغاه .. قال الشاعر : لَوْلَا الْعُلَى لَمْ
تَجُبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا... وَجَنَاءُ حَرْفٍ وَلَا جَرْدَاءُ قَيْدُودُ...!
ولذلك الجاد المهجر لا يزال في هم من طريقه، متجاوز
لأشغاله ، صابر على وعثاء الطريق ، ومعاذير الناس .. والله
الموفق .

١١ / إنما يلبسُ هذه من لا خلاق له في الآخرة..!

■ حتى الملابسُ تؤثر في أخلاق ذويها ومرتديها، وتحملهم على التجبر والكبرياء أو التانث والتفاهة، ولذلك جاء الإسلامُ بأداب للباس، وفصل فيها صَلَّى اللهُ عليه وسلم ومن لحظ عليه ملحظاً في لباسه وجهه بالحكمة والذكرى .. جاء في قصة عمر المشهورة، رَأَى حُلَّةً سِيرَاءَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ - فيها حرير - ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ فَلَبِسْتَهَا لِلنَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ ". ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا حُلَّةٌ، فَأَعْطَى عُمَرَ مِنْهَا حُلَّةً، فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَوْتَنِيهَا، وَقَدْ قُلْتَ

فِي حُلَّةِ عَطَارِدٍ مَا قُلْتِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
" إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا ". فَكَسَاهَا عُمَرُ أَخَاهُ مُشْرِكًا
بِمَكَّةَ. أخرجاه.

■ ولذلك يستفادُ هنا حرمةُ الحريرِ في الشرعِ على الذكور ،
وحلَّهُ خاصٌّ بالنساء ، ولذلك لا يلبسه مسلم يؤمن بالله
واليوم الآخر ، لأنه لباسٌ من لا دين له ولا حرمة ، ومن لا
يوقرُ الشرائع ، ويحترم الفضائل ..! أما متبعو الذكر
والسنة فيلتزمون أدبَ اللباس ، ويتحلون بحلية أهل الحق
والمتابعة (إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلْقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ) .

■ وفي هذا الحديث نصُّ ظاهر على حرمة الحرير على
الرجال وإباحته للنساء ، وإباحة هديته ، وإباحة ثمنه ،

وجواز إهداء المسلم إلى المشرك ثوبا وغيره ، واستحباب التجمّل ولباس أنفـس ثيابه يوم الجمعة والعيد ، وعند لقاء الوفود ونحوهم ، وعرض المفضول على الفاضل ، والتابع على المتبوع ما يحتاج إليه من مصالحه التي قد لا يذكرها ، وفيه صلة الأقراب والمعارف وإن كانوا كفارا ، وجواز البيع والشراء عند باب المسجد . وفيه فضل الصلة والإحسان إلى الآخرين ، وجواز الهدية إلى الكفار ، وفيه جواز إهداء ثياب الحرير إلى الرجال ؛ لأنها لا تتعين للبسهم ، وقد ينتفعون بها بشكل آخر.. وحسن تصرف عمر في تأليف المخالفين له في الاعتقاد . والله الموفق.

١٢/ وَأَنَا وَاللَّهُ مَا صَلَّيْتُهَا بَعْدُ..!

- حينما تكونُ الصلاةُ نبضَ حياةِ المؤمنين ، ومحل شغلهم واهتماماتهم ، تكونُ في أولوياتهم، ولا تؤخر إلا لعذر شرعي ، كما حصل في غزوة الأحزاب سنة (٥) من الهجرة، ومع ذلك ضجّوا لتأخرها عن وقتها ، خلافاً لمن يصلّيها على أيّ وقت كان وقد قال تعالى : (إن لصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) سورة النساء . وفي الحديث الصحيح عن جابرِ ابنِ عبدِ الله ، قال : جاءَ عمْرُ يومَ الخندقِ فجعلَ يسبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ ويقولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا صَلَّيْتُ الْعَصْرَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغِيبَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَأَنَا وَاللَّهُ مَا صَلَّيْتُهَا بَعْدُ " .

قَالَ : فَنَزَلَ إِلَى بُطْحَانَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَمَا غَابَتْ

الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ بَعْدَهَا.

■ فانظر حالة الغضب البالغة لعمر رضي الله عنه، ومشاركة

رسول الله له ذلك الهم والغضب (وَأَنَا وَاللَّهِ مَا صَلَّيْتُهَا بَعْدُ)

فشدة المعركة والحصار المضروب، وحالة الزلزلة الموصوفة

قرآنيا.. (وزلزلوا زلزالا شديداً). سببت لهم حالة نسيان

الصلاة حتى غربت الشمس او كادت تغرب ، وذهبت عنهم

الصلاة الوسطى ، حتى قال صلى الله عليه وسلم : (مَلَأَ اللَّهُ

بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا، شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى حِينَ غَابَتْ

الشَّمْسُ).

■ ولعلنا نتعلم من ذلك أهمية الصلوات في أوقاتها ، وتقديمها على الطعام والملذات وكل مشاغل الإنسان، وأنها من الأهمية بمكان حتى إنها لتؤدي في حالة الحرب والرعب ، كما هو معلوم (باب صلاة الخوف) في كتب الحديث والفقهاء، وقد قيل إنها شرعت بعد الأحزاب ، ولذلك لم يصلها عليه الصلاة والسلام إلا بعد الأحزاب في غزوة ذات الرقاع.. والله الموفق...!

١٣ / فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُوتِرَ أَيَقْظَنِي فَأُوتِرْتُ..!

- علاقة الرجل بزوجه ليس مجرد متعة متبادلة ، أو شهوة مزخرفة ، كلا..! بل هي متعة منظمة، وتناصح وتعاون ، وذكرى وتنبية ، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم ناصحا لأهله ، ويوصي بالنساء خيرا ، تقول عائشة رضي الله عنها : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَأَنَا رَاقِدَةٌ مُعْتَرِضَةً عَلَيْهِ فَرَأَيْتُهُ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُوتِرَ أَيَقْظَنِي فَأُوتِرْتُ . وهذا من باب التعاون على البر والتقوى ، وتذكير بوقت السحر وعظمته ، كما قال تعالى : (والمستغفرين بالأسحار) . سورة آل عمران .
- وفي حديث آخر أن الرجل ينصح لزوجته في هذا السياق ويزيد في النصيحة، وكذلك هي تفعل ذلك إذا وفقت للسبق

العبادي ، يقول: (رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ ، فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امرأته ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبِي نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ). رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح . والمراد التلطف معها والسعي في قيامها لطاعة ربها بالحسنى ، وليس بالشدة والتعنيف قال تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) سورة الإسراء: ٥٢ . واستعمال خلاف ذلك قد يفضي للشجار وتعكير العشرة، المفضية إلى الطلاق.

■ وفي حالة النجاح والتوافق ، تأمل حسن الائتلاف العبادي بين الزوجين ، وأثر ذلك على الأبناء ، سيشبون ولقيام الليل قدسية عظيمة في حياتهم، ينبت عنها محبته وفعله ، تقليدًا للوالدين

الكريمين ، وسيجنون من وراء ذلك حسناتٍ باهرات ،
وغراساً مباركات في الأبناء والذرية ، قال في حديث آخر عند
أبي داود أيضا: (إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلِّ يَا أَوْ صَلِّ
رُكْعَتَيْنِ جَمِيعًا ، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ) .
المشار إليها في القرآن ، والتي تعني مجانبة الغفلة والنفاق ،
وكثرة الذكر والرقاق .. واللهُ الموفق .

١٤/ كَانَتِ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ..!

■ الرِّيحُ لها هبوبٌ وحركة ، وثورانٌ وارتجاج ، تُحدثُ في الكون أثرها ، وتهزُّ من حولها ، وإذا اشتدت أهلكت وأردت .. قال أنس رضي الله عنه : " كَانَتِ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ إِذَا هَبَّتْ عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " . تأمل (عُرِفَ ذلك في وجهه) واستشعر كيف يكون خوفه وتهممه من جرائها إنه خوف العذاب ، واستحضار لمصير أمم بائدة ، لاقت منها الأمرين .. فكان هديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها الذكر والتخوف ، ويُعرفُ خوفه من تغير وجهه ، ويقول : (إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا ، وَخَيْرَ مَا فِيهَا ،

وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا
أُرْسِلَتْ بِهِ).

■ وتخوفه من أن تكون نذير عذاب كما وقع للأمم سابقة، تقول
عائشة رضي الله عنها أيضًا: (وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا
عُرفَ في وجهه، قالت: يا رسول الله، إنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ
فَرِحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرفَ فِي
وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ؟! فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ
عَذَابٌ؟ عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرَّيْحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: هَذَا
عَارِضٌ مُمَطِّرُنَا).

■ ومن المؤسف افتقادنا لهذا الأدب تخوفًا وحسن تفاعل مع
الآيات الكونية وما قد يعقبها ..! وقد تلاقي أناسا يتضحكون

، ولا يدرون ما خلفية ذلك، ولا يلهجون بالذكر المنقول
تجاهها ..! لكانهم ما قرؤوا تعذيبَ قوم بها (فأرسلنا عليهم
الريحَ العقيم) سورة الذاريات . عافانا الله وإياكم ، وبلغنا
الاعتبار ودرب السلامة .

١٥/ فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا..!

■ جملةٌ مفعمةٌ بكلِّ مزاهر الجمال والجدب والحفاوة...!

فبينما الناسُ في شغلٍ وهم، وبلاءٍ وغمّةٍ، من القيامة يقوم ذلك

الحاج المؤمن من قبره وهو يلبي ذاكرًا لله، معظما له، لأنه

مات في إحرامه، وانتهت حياته من الدنيا في حالة إشفاق

شديدة، قد تجرد من متاع الدنيا، وتطلع إلى الله وفضله والدار

الآخرة.. فبالله أما تشدكم وتدهشكم عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ

عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَعِيرِهِ،

فَوَقَصَ، فَمَاتَ، فَقَالَ: "اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي

ثَوْبَيْهِ، وَلَا تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا".

- يلبِّي في ذلك المحشر العظيم، حيث لا ملبِّ فيه ولا ذاكر إلا قلائل ممن شابهوه، فأبي فضل بلغه، وأي منزلة حصلها... وذلك يعني توفيقه لطريق السلامة، وأن الله خفف عنه كرب ذلك اليوم، فيأتيه ولا يخالطه شيء من الغمِّ والحزن، قد صَفَّى اللهُ قلبه، ووهبه لكم النعمة، نعمة الذكر والتلبية...
- والذكر في مشهدٍ عَصِيبٍ، يضاعفُ من الثواب، ويعلي المنزلةَ عند الله تعالى، وكما مات على التوحيد يبعثه الله لاهجاً بالتوحيد، مذكراً به، فتشاهده الناس، وتسمعه الخلائق، ويندهش السامعون الناسُ في غمٍ وفي أنكادٍ والذاكرُ الميمونُ في إسعادٍ نسأل الله تعالى من فضله.. والله الموفق.

١٦ / حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ ..!

■ تخيل أن صدقةً يسيرةً، خالصةً لله، تثمنُ له وتضاعف حتى تبيتَ كالجبل ضخامةً وسعةً، فلا تتردد في البذل والنفع وإشاعة الخير، وكل صور الإحسان يقول رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرِيِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ). وهو صغير الخيل .

■ فهذه التمرة الصغيرة التي يتقالها كثيرون يُريها الله وباركها كما نربي صغير الخيل حتى تصير مثل الجبل...! والجبلُ راسخٌ وشاهق كما هو معلوم، وفي ذلك إشارة إلى عِظَمِ العمل، وأن الصدقة من أفضل الطاعات لما فيها من حسن

التواصل والإخاء الاجتماعي ، فتظل صدقته معلماً ، يبارك
ثوابها ويشاهد يوم القيامة، ويثاب عليها ثواباً عزيزاً ، فضلاً من
الله ورحمة...!

■ وفي قوله: (من كسب طيب .. ولا يقبل الله إلا الطيب) تبيهُ
مهم على شرط من شروط القبول ، وهو الإخلاص الذي
احتوى الطيب، وتنزهه عن الشرور، وجافي الآفات ، فلا يعمل
إلا في حلال نقي، ولا يجمع إلا من طيب صفي، اقتداءً بمنهج
القرآن: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) [البقرة ١٧٢] . والله
الموفق .

١٧ / من عمل يده..!

■ من أجملِ صورِ الحياة : العاملُ الكادح ، والموظفُ المجهتهد

على نفسه وعياله ، من باب طيبٍ حلال..! فعملُ اليد يعني

كسبَ الرجل الجاد، ونشاطه المتقد، وعزمته الشريفة على

لقمته وعياله ، ولا يضيرُ تعبُه ومعاناته، فهي مباركة محبوبة،

ويجدُ حلاوتها ولو بعد حين .. جاء في الصحيح عن المِقْدَامِ

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَا

أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ

اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ).

■ وكانَّ الخيرية والبركة تكمن في جد المرء وكسبه، وبذله

وصنعته، وفي ذلك حض على العمل ، واستغلال الوقت، وذم

السؤال والعلة، وعدم التعلق بالآخرين، أو انتظار إحساناتهم،
وقد قال تعالى: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في
مناكبها..) سورة الملك .

■ ثم إنَّ هذه سنة الأنبياء وطريقة الأولياء.. جد وعمل، وتحرك
وكسب، وهمة ويقظة، وبكور وانطلاق...! لا يعرفون الكسل،
ولا يتخللهم الضعف، ولا ينهجون التكاليف...! فما ضر من
بعدهم إلا التكاليف والمسلك الاعتمادي، وارتضاؤهم
العيش الذليل، والطعام الكليل، والظل الظليل ويرومون حياةً
بلا تعب، ورزقاً بلا سبب، وعلوً بلا مشاق، ونسوا أننا خلقنا
للعمل، فحياتنا في كبد، وجهادنا من لهبٍ وذهب...! ولولا

تلك المتاعب لما عُرف الناجحون ، ولا تميز الفاضلون..

وكما قيل:

لا يُدْرِكُ المَجْدَ إِلَّا سَيِّدُ فَطِنٍ ** لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَادَاتِ فَعَالُ

لَوْلَا المَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ** الجودُ يُفْقِرُ وَالإِقْدَامُ قَتَالُ

والله الموفق ...

١٨ / اقساموا واضربوا لي معكم سهماً..!

■ معانٍ تشعُّ بالتواضع وإيناس القوم ، وكلماتٍ داعمةٌ مشعرةٌ بالمشاركة والتآخي ورفع الحرج عنهم في أخذ مال الرقية.. (اقسموا واضربوا لي معكم سهماً) . فلا يَضِيرُكم ما يقال، فإنَّ أَحَقَّ ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله . أخرج الشيخان رحمهما الله عن أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ : انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرَةٍ سَافَرُواهَا، حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ آتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا ؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ. فَآتَوْهُمْ فَقَالُوا : يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ، إِنَّ سَيِّدَنَا

لُدِغَ وَسَعِينَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعَلًا. - أي عطية العمل - فَصَالِحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، فَاَنْطَلَقَ يَتَفَلَّحُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ: { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، فَكَانَمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ ...

■ وانظر إلى مقدار سورة الفاتحة في قلوب الصحابة ، وأنها الكنز والشافية ، ونافذة الرقية الناجعة.. " فَاَنْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلْبَةٌ - أي علة - . قَالَ : فَأَوْفَوْهُمْ جُعَلَهُمُ الَّذِي صَالِحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : اقْسِمُوا. فَقَالَ الَّذِي رَقِيَ : لَا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَذْكُرُ لَهُ الَّذِي كَانَ، فَتَنْظُرَ مَا

يَأْمُرُنَا. فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرُوا لَهُ
فَقَالَ: " وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُفِيَةٌ ". ثُمَّ قَالَ: " قَدْ أَصَبْتُمْ،
اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا ". فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

■ ونتعلمُ فضلَ الصحابة وحسنَ قربهم من القرآن ، وتورع
بعضهم عند التشكك ، وإجلالهم لقائدهم رسول الله ،
ومراجعتة في المشكلات ، وطيب خلقه عليه الصلاة والسلام
في طلب الهدية ومحبة إيناسهم ومشاركتهم مآلهم الحلال ،
وأنة لا غضاضة فيه ولا معيب ، وأن المشاركة الفعلية تدفع
الشك والخرج ، وتحمل الآخرين على الانشراح والطمأنينة ..
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

١٩ / فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ..!

■ الجودُ لا حدودَ له، والرحمةُ شاملةٌ لكل المخلوقات، وفضل الله واسع، فلا تزهدن في معروف مبدول، أو صدقة مؤداة، أو غرس منثور، وكل ما استُفيدَ منه عائدٌ إليك، فالله لا يظلم مثقال ذرة.. جاء في المتفق عليه عن أنسٍ رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ).

■ وهذا شكلٌ من العطاء المجتمعي المتسامح، بحيث تنتفع وتنفع غيرك، وتأكل وتؤكل سواك، لأن الإسلام دين الجود والرحمة، والمؤمنين بينهم رابطة، والإخوة عميقة، والوصال

محتم، قال تعالى: (فأصبحتم بنعمته إخوانا) سورة آل عمران.

■ وفي ذلك عمرانٌ للأرض واخضرار ينتج عنه منافع للناس والكائنات ، وهي بمثابة الصدقة الجارية للمؤمن في حياته وبعدها ما بقي الزرع واكمل الغرس . وفيها إشاعةٌ لمعنى التسامح ، وأن تلك المزروعات لا ينبغي فيها التشدد والمنع ، بل تترك منها جهات للتصدق والتراحم ، حتى يبارك فيها، وتتنامى خيراتها .. والسلام.

٢٠ / يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَى اللَّهِ عَنْهُ..!

■ الديونُ من منغصاتِ الحياة ، ولكنها إذا تعينت ، لزمَ تصحيحُ

النية فيها بالسداد الصادق ، والإيفاء باللازم ، وترك التحايل

قال في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى

الله عليه وسلم، قال : (مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَى

اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ). ومع متاعب الحياة

قد لا ينفك كثيرون عن الديون ، ولكن بحسن النية والتوكل

على الله ، تُفتح لهم أبواب اليسر ، وتنفرج عنهم المضايق ،

وتزول العقبات ، ويُروى في حديث يحسنه بعضهم : (إن الله

مع الدائن حتى يقضي دينه).

- ومعه بالسداد والعون وتفريج الكروب ، إذا صحت نيته ،
ونوى الوفاء ، فيفتح له باب الرزق، ويعينه في حياته (إن الله هو
الرزاق ذو القوة المتين) سورة الذاريات . وفي الحياة شواهد
على ذلك ، فقد رؤي كثيرون في معضلات مالية ، فاحتسبوا
الوفاء ، وجدوا في العمل ، فباركهم الله، وقضى حوائجهم...
■ وفي المقابل إذا انتزعت التقوى من قلوب بعض البشر، وهانت
عندهم أموال الناس واقتراضها ، أتلفهم الله ولم يبارك لهم في
أرزاقهم ولا أبنائهم ولا معاشهم ، جزاء وفاقا.. لأنهم قادرون
على السداد ، واستدانوا توسعا بلا حاجة ماسة، والغاية
استمراء مثل ذلك الطبع اللئيم ، والله المستعان .

٢١ / مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرِ ..!

■ من أبشع مظاهر الحياة الاجتماعية ظلمُ الناس بعضهم بعضاً ،
وتسلطهم على أموال الآخرين ، وامتلاكها غصباً أو عنفاً ...
ولو كان شيئاً يسيراً كشرائك النعل ، أو قيد الشبر من الأرض ..
جاء في الحديث الصحيح أن عائشة رضي الله عنها ، بلغها عن
أبي سلمة وخصومته مع آخرين فقالت واعظةً له : " يَا أَبَا
سَلَمَةَ ، اجْتَنِبِ الْأَرْضَ ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
" مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرِ مِنَ الْأَرْضِ طَوَّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ " .
وهذا الوعيد في حق أشبار قصيرة ، فكيف بمن يلتهم أراضي
ومخططات بلا خوف ولا هوادة ...

- ومن كان له رادعٌ من دين أو تقوى ، خاف المصير القاتل ،
والنهاية البئيسة (طوقه من سبع أرضين). فقيل : المراد:
يخسف الله به الأرض فتصير البقعة المغصوبة في عنقه
كالطوق. وقيل: هو أن يُطَوَّق؛ أي يُكَلَّف حملها يوم القيامة،
وفي ذلك ترهيبٌ شديد، وتخويف أليم من تلك الجيرة
العظمى التي يستسهلها بعض الناس ، فيعتدون على أموال
فقراء او جيران أو أيتام ، وهم معرضون عن كل ذكرى أو
موعظة تنذر بالخطر والعقاب الشديد ، والله المستعان !..
- واستشعارُ الظالم الجرى ، لذلك الطوق المنسوب يوم القيامة
، يجعله يتهيب كثيراً ، ويراجع حساباته، وأن القضية عار
وشنارٌ ، وهلاك بعدها وعناء ، قال تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ

مَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا
وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ [آل

عمران: ٣٠]. والله تعالى أعلم .

١٢٢ / حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ..!

■ من عجائب المال والناس، أن أصحابه لا يبذلونه إلا حين المرض أو حال الوفاة، حيث بلوغ الحلقوم، والشكل مكضوم، والبال مهموم، وأضحى دانياً من الموت والدار الآخرة، وقد كشف صلى الله عليه وسلم هذه الحالة العصبية واستدرار المال فيها.. فيقول كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قَالَ: " أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ حَرِيصٌ، تَأْمَلُ الْغِنَى، وَتَخْشَى الْفَقْرَ، وَلَا تُمَهِّلُ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ".

■ فهذا هو الوقتُ الإيجابي المرضي للصدقة، حال الصحة والحرص، لديك المال ، ولكنك تخاف الفقر، والشيطان يحيط بك تشيطا وتبخيلا... فالمراد أن الشح غالب في حال الصحة ، فإذا سمح فيها وتصدق كان أصدق في نيته وأعظم لأجره ، بخلاف من أشرف على الموت وآيس من الحياة ورأى مصير المال لغيره فإن صدقته حينئذ ناقصة بالنسبة إلى حالة الصحة ، ولذلك نُدبنا إلى تلکم الحالة الطبيعية، حيث حب المال ، وطغيان الشح على النفوس..(ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) سورة التغابن .

■ والصدقةُ من فضائل الأعمال ، وكل امرئٍ في ظل صدقته يوم
القيامة .. ومعنى (بلغت الحلقوم) : أي بلغت الروح ،
والمراد قاربت بلوغ الحلقوم ، إذ لو بلغت حقيقةً لم تصح
وصيته ولا صدقته ، ولا شيء من تصرفاته باتفاق الفقهاء .
فالواجبُ الاعتاز ، ومبادرة الأعمار ، وتذكر الدار الآخرة ،
وفي الحديث : (اغتنم خمسا قبل خمس .. وفيه : وحياتك قبل
موتك) . والله تعالى أعلم .

٢٣/لَأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَاتُهُ رِيحًا..!

- حينما يرنّ في أذنك هذا الحديثُ عن نعيم الجنة ، تدركُ حقارة ما نحن فيه من من متاع الدنيا، وأننا في شقاء وتباب، وحولنا معاناة وضياع ... فكيف نرخص ذلك النعيم المقيم لشيء عابر، وشهوات تائهة.. ورد في حديث أنس رضي الله عنه، في الصحيح ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَضَاءَتِ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمَلَاتُهُ رِيحًا، وَلَنْصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا).
- ولذلك من أراد نعيم الآخرة فليقلل من نعيم الدنيا، ويلتزم الهدى ، ويتباعد عن مساخط الله تعالى (فعند الله متاع الدنيا والآخرة). وهذا شيءٌ قليل من صفة نساء الآخرة . فنورها

وريحها شيءٌ لا يكاد يخطر بالبال!.. وقوله فيه: (ولنصيفُها)
بالفتح ، هو الخمار وقيل ساقه ليبين المعنى الذي من أجله
يتمنى الشهيد رجوعه إلى الدنيا ليقتل مرة أخرى في سبيل الله،
لكونه يرى من الكرامة بالشهادة فوق ما في نفسه، إذ كل واحدة
يعطاها من الحور العين لو اطلعت على الدنيا لأضاعت
كلها..!

■ فبا الله عليكم ما قيمة الدنيا بالنسبة إلى الآخرة...؟! هل
تستحق منا ذلك التعب والتقاتل الدنيوي ، وقد سمعنا مباحج
الآخرة وعجائب ما فيها من النعيم الفاخر ومن روائع العلامة
ابن القيم هنا رحمه الله قوله: (الدنيا كامرأة بغية لا تثبت مع
زوج، وإنما تخطب الأزواج؛ ليستحسنوا عليها؛ فلا ترض

بالديانة). (الدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها؛ فكيف تعدو خلفها). (الدنيا جيفةٌ، والأسد لا يقف على الجيف). (كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بشهوة ساعة). فالعقل كلُّ العقل في زهادة دنيوية والتفكير الحقيقي في الآخرة والجد في تحصيلها ، والله الموفق .

٢٤ / وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أُرْدَلِ الْعُمْرِ..!

■ يشتهي كثيرٌ من الناسِ الحياةَ وشبابها وجمالها ، وحلوة الاستمتاع بها ، ولكنه قد لا يتصور بلوغه أُرْدَلِ العمر المستهجن ، والباعث على الشفقة، فيعترف بذلك ويخشاه حينما يشاهد كبار السن وكيف تخبطهم في هذه الحياة وذهاب عقولهم، وتقاعس حركاتهم ..! ولذلك استعاد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم من الهرم وأرذل العمر، كما في حديث : سعدٍ رضي الله عنه أنه كان يُعَلِّمُ بَنِيهِ هَوُلاءِ الْكَلِمَاتِ كَمَا يُعَلِّمُ الْمُعَلَّمُ الْغُلَمَانَ الْكِتَابَةَ، وَيَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْهُنَّ دُبْرَ الصَّلَاةِ : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أُرْدَلِ الْعُمْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ " .

■ وأرذل العمر هو الخرف يعني يعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية ، ضعيف البنية ، سخيـف العقل ، قليل الفهم ، ويقال أرذل العمر: أردؤه وهو حالة الهرم والضعف عن أداء الفرائض ، وعن خدمة نفسه فيما يتنظف فيه فيكون كلاً على أهله ثقيلاً بينهم يتمنون موته . فإن لم يكن له أهل فالمصيبة أعظم .

■ وهذا عبرةٌ ودرس ، وإن لم نفقهها شاهدناها وتعلمناها من مناظر كبار السن في حياتنا ، وكيف تخور قواهم ، وتعتلُّ صحتهم ، ويبيتون في حاجة للخدمة والمؤازرة ، ولذلك ندبنا إلى إكرامهم والإحسان إليهم (إكرام ذي الشيبة المسلم) .
وعد ذاك من إجلال المولى تعالى . والله تعالى أعلم وأحكم .

٢٥ / لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ...!

■ طيبُ الكلام من طيبِ اللسان ، وحقاوته بمكارم الأخلاق ،
ونبذه لكل الملافظ البذيئة والسيئة ، وإذا انتهج ذلك أحبه
الناسُ ، وكتب له القبول ، وفاز بغرف الجنان المرتفعة .. (وإذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا) . سورة الفرقان . وجاء في
الحديث الصحيح عند الترمذي رحمه الله ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ
عنه ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ
غُرَفًا تَرَى ظُهُورَهَا مِنْ بُطُونِهَا ، وَبُطُونَهَا مِنْ ظُهُورِهَا ، فَقَامَ
أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ ،
وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ ، وَصَلَّى لِلَّهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ) .

■ وطيبُ الكلام يعني لينه وحسنه ، بحيث لا يجرح ولا يسيء ،
ويفيد ولا يعيب ، ويعطر ، ولا يقبح ، ويداوي ولا يؤذي ، كما
هو هديُّ رسولنا عليه الصلاة والسلام ، ولم يكن طعانا ولا
لعاناً ولا فاحشاً بذيئاً .. (وإنك لعلی خلق عظیم) سورة
القلم .

■ وهذه الغرُفُ العالية ، بهيئةً مرئيةً لطافةً وحسناً ، لكونها
شفافةً لا تحجب ما وراءها . وقد أعدها الله لذوي لذوي
خصال أربع : طيبُ الكلام ، وإطعامُ الطعام ، واستدامةُ الصيام ،
وصلاةُ بالليل والناس نيام فيعطرُ ألفاظه حين الكلام ، ويطعمُ
الفقراء والمساكين ، ولا يستأثر بالغنى والشبع ، ويقوم ليله
مصلياً راغباً وراهباً... !

- ويستعينُ على حفظ اللسان بهدي الكتاب والسنة والمنهج النبوي في الحديث، والتفكر في عاقبة انفلات اللسان بلا أدب ولطف، واستشعار حرارة الكلمة، وعاقبتها، لو قيلت فيك،.. والسلام !..!

٢٦ / أقبِلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ...!

■ لبعضِ القومِ معادنٌ طيبة، وأخلاقٌ كريمة، وآدابٌ أصيلة تحملهم على الوقار والهدوء، ولذلك إذا وقع منهم خطأ عُفي عنهم، ولأَيُّواخذون إلا في الحدود، فإنها لا تغتفر، ومن ثم قال في الحديث الصحيح عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَقْبِلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَشْرَاتِهِمْ، إِلَّا الْحُدُودَ". رواه ابوداود في السنن.

■ والمرادُ (بذوي الهيئات) أي: أصحاب المروءات والخصال الحميدة. ومن لهم مكانة في الناس وجاه ومحمدة، وما عُرفوا بأذى ولا شر.. فإن يكن الفعلُ الذي ساء واحداً... فأفعاله اللاتي سَررن ألوفُ... فمثل هؤلاء لا تُلمسُ عَشْرَاتِهِمْ ولا

يبحث وراءها ، ويعفى عنهم إذا ما حصل منهم شيء...!
ويستثنى من ذلك الحدود ، فلا تدخلها المحاباة ، ولا يشملها
العفو..

■ وفي ذلك تسامحٌ من الشرع ومراعاة، وحفظٌ لجميلهم
الأخلاقي وسلامتهم السابقة، فإن البشر لا يرحون من فعل
الأخطاء ، ولا يسلمون من الآفات ، ولا تزال بشريتهم توقعهم
فيما لا يشين ولا يزين، ولكنه ليس ديدناً لهم، ولا منهجاً متبعاً
، ولذلك استحقوا العفو والمسامحة... (والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين) والله الموفق .

٢٧ / لَكِنِّي أَصَلِّي، وَأَنَامُ، وَأَصُومُ، وَأُفْطِرُ..!

■ ليس ثمة هديٍّ أكملَ من هدي رسول الله ، ولا طريقةً أحسنَ من طريقته، موافقة للشرع، متزنة المسالك ، ملائمة للجسد وحفظ النفس ، ولذلك ذم التنطع الديني، وحذر من الجفاء السلوكي .. جاء في الصحيحين عن أنسٍ رضي الله عنه ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ : " مَا بَالُ أَقْوَامٍ، قَالُوا كَذَا وَكَذَا، لَكِنِّي أَصَلِّي، وَأَنَامُ، وَأَصُومُ، وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي ؛ فَلَيْسَ مِنِّي " .

■ ومن هنا نفقه أن ديننا دين التوازن ، يحفظُ حق الروح والجسد ، ويوازن الدنيا مع الآخرة ، كما قال تعالى : (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس تصيبك من الدنيا) سورة القصص .
فالقصدُ القصدُ تبلغوا ... وطريقة النبي صلى الله عليه وسلم هي الحنيفية السمحة ، يفطر ليتقوى على الصوم ، وينام ليتقوى على القيام ، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس .
وتكثير النسل ، وهذا أكملُّ هدي وأحسنه وأطيبه ..! فلا رهبانية في الإسلام ، ولا حيوانية مطلقة ، بل التوسط والاعتدال ، قال تعالى : (وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً) سورة البقرة .

■ ولذاك يخطئ من يظن أن الإسلامَ تعبد مطلق ، أو انفتاح بلا قيود، بل ساعةً وساعةً، ولذلك دلّ الحديثُ على فضل النكاح والترغيب فيه، وأنه لا تضاد بينه وبين الطاعات ، وتتبع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم، وأنه إذا تعذرت معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء، وأن من عزم على عمل بر ، واحتاج إلى إظهاره حيث يأمن الرياء ، لم يكن ذلك ممنوعاً، وفيه تقديم الحمد والثناء على الله عند إلقاء مسائل العلم وبيان الأحكام للمكلفين وإزالة الشبهة عن المجتهدين، وأن المباحات قد تنقلبُ بالقصد إلى الكراهة أو الاستحباب، واعتبار النيات في كلِّ السلوكيات . والله الموفق .

٢٨ / ومن لَقِينِي بِقَرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً..!

■ مهما كانت الذنوبُ قاتلةً فرحمة الله واسعة، وفضله فسيح،
وعفوه لا حدود له.. ولذلك كان من أعظم أحاديث الرجاء ،
ونصوص الرحمات، التي تفيضُ الأملَ ، وتبث البشارة ،
وتمنح الشرح ، "حديث قراب الخطايا " ، بحيث مهما
اقتربت فباب التوبة مفتوح، والتوحيد عصمةً من الهلاك الدائم
، والمهم أن يبقى هاجسُ التوبة حاضرًا في حسِّ الإنسان ،
بحيث لا يستمرئ الذنوب، ولا يختال مع الخطايا، لأنَّ
استدامتها فتكٌ ودمار لبني آدم ، ولذلك جاء في الحديث
القدسي عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ

عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ
أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي
ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ
لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقَيْتُهُ بِمِثْلِهَا
مَغْفِرَةً).

■ وهذا فضلٌ من الباري كبير (ورحمتي وسعت كل شيء)

سورة الأعراف. والقُرَابُ بضم القاف على المشهور، وهو ما
يقارب ملاءها، وهو لا يتعاضمه شيء تبارك وتعالى. والمعنى:
"يا ابن آدم، إنك لو أتيتني"، أي: بعد الموت، "بقُرَابٍ"،
أي: بملء الأرض، "خطايا"، أي: ذنوبًا ومعاصي، "ثمَّ
لَقَيْتَنِي"، أي: بعد الموت موحَّدًا "لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا"، لا في

الرُّبُوبِيَّةِ، وَلَا فِي الْأَلُوْهِيَّةِ، وَلَا فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ،
"لَا تَيْتُكَ"، أَي: قَابَلْتُ هَذِهِ الذُّنُوبَ وَالْمَعَاصِيَّ، "بِقُرَابِهَا"،
أَي: بِمِلْئِهَا، "مَغْفِرَةً"؛ لِأَنَّيَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ، وَأَغْفِرُ كُلَّ شَيْءٍ
دُونَ الشِّرْكِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨، ٩٧].

■ وفي الحديث: فضلُ التَّوْحِيدِ وَضُرُورَةُ الْمَحَافِظَةِ عَلَيْهِ، وَقَبْحُ
الشِّرْكِ وَسُوءُ عَاقِبَتِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لِلْمُؤَحِّدِينَ الذُّنُوبَ
وَالْمَعَاصِيَّ، مَا سَلِمَ لَهُمْ تَوْحِيدُهُمْ . وَسَعَةُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى
وَمَغْفِرَتِهِ وَفَضْلِهِ . وَعَظْمُ بَشَائِرِ هَذَا الدِّينِ الْمَتِينِ، فِي التَّخْفِيفِ
عَلَى الْعِبَادِ، وَسِتْرِ عَوْرَاتِهِمْ.. وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ.

٢٩ / فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا..!

■ الحُبُّ طاقةٌ روحيةٌ تحتاجها النفوس، تورثُ الشرحَ والسعادة، وتصنع الود والانسجام، وتجدد النشاط والمواساة، ولكنها لا تطيب إلا إذا كانت في سبيل الله وفي مرضاته ومقاصده، ولذلك صح أن من أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله. ومن الشموس السنوية الساطعة في فضل هذه القربة بين أهل الإسلام حديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه في الزائر والمزور، وصاحب النية المغمور، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " أَنْ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا،

عَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ
اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ " .

■ عَظْمُ مَقْصِدِ الزَّائِرِ ، وَصَحْتِ نِيَّتِهِ ، فَقِيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَلَكًا يَخْبِرُهُ
بِمَحَبَةِ اللَّهِ ، فَمَا أَرُوْعَ هَذِهِ الْبَشْرَى ، وَمَا أَطْيِبَ هَذَا الْجَزَاءَ... !
وَهَلْ تَفَكَّرْتَ فِي مَعْنَى أَنَّ اللَّهَ يَحْبُكَ وَيَصْطَفِيكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ
خَلْقِهِ... وَانظُرْ أَعْمَلْ يَسِيرٌ خَلَا مِنْ لَعَاعَةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ كَيْفَ
أَثْمَرُ وَأَنْتَجُ..

■ وَمِثْلُ ذَلِكَ يَمْنَحُنَا فَجْوَةً دَاخِلِيَّةً فِي تَقْمِصِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
الْبَاهِيَةِ ، وَالتِّي تُنْسَجُ عِبْرَ رِبَاطِ الْإِخْوَةِ الْإِيمَانِيَةِ الْحَقِيقِي ،
وَلَيْسَ الدُّنْيَا بِعَلَاقَاتِهَا الذَّابِلَةَ ، وَلَعَاعَاتِهَا الْبَالِيَةَ... ! فَمَنْ مِنْ
حَبِّ تَأْسِسَ لَشَهْوَاتٍ وَأَمْوَالٍ ، فَانْتَهَى بِانْتِهَاءِ قُوَّتِهَا وَتَقَاذِفِهَا

!.. فتحابُّوا لمقاصد الدين والخلق والمكارم، التي عظمها

الإسلام ، وجاء مبتهجا بها، وحاضاً عليها..

■ وفي تلك الزيارة الإيمانية التي تصفت من حبائل الدنيا، أنس

وذكر ، وعلم وفضل ، وتناصح وتناصر .. وفيها كثيرٌ للسواد ،

وتنام للعلاقة ، وتعميق للحمة، ودرء للجفوة والفراق .. والله

الموفق .

٣٠ / غنى النفس...!

■ كثيرون يتفكرون ويطمعون في الغنى المادي، الذي يسعدهم ويرفعهم على كثير من الناس.. زيادة مال، ونماء ثروات، وكثرة متاع وزخارف، حتى يصابوا بالتخمة والمبالغة...! ولكنهم يتناسون أضرار ذلك وتبعاته، من شدة الحرص فيهم، وقلق النفس من الازدياد، وخوف الفقر، والتهارش الدنيوي مع الإخوة والجيران وزملاء الصنعة... حتى وقعوا في شر ذلك ومضاداته.

■ وأعظم من ذلك خفاء المضمون النبوي المشار اليه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى

غِنَى النَّفْسِ). وغناها استعفافها بما أعطاه الله تعالى، بحيث تعيش راضية قنوعةً، لا تطمع ولا تغامر، ولا تنازع أو تتقاتل.. وإذا رضيت بما أعطيت من خالقها ازدادت إيماناً، وطابت انشراحاً، ولم تتطلع إلى ما وراء ذلك، وبت توكلها على ربها حقيقياً، وزاهداً في الدنيا ومسالكها، وهو ما ينبغي العناية به في إصلاح النفس وبنائها...!

■ ولذلك تُحصَلُ النفسُ مع القناعة والرضا ما لا تحصله مع الغنى والبطر الزائد.. وما أحسنَ قولَ بعضهم: ومن ينفقِ الساعاتِ في جمعِ ماله... مخافةً فقرٍ فالذي فعل الفقرُ... لأنه يفقد حالةَ الاستقرار النفسي التي ينعم بها فقراء المؤمنين، المتوكلين على ربهم.. بخلاف أولئك الذين يتقاتلون على

الدنيا، تجدهم متصارعين ، في غمٍّ وهموم ، وفي شجنٍ
وشؤون، وفي فرقةٍ وطعون ، ويوافقُ ذلك قلةً تدين وتوكل
على ربهم تعالى، مما يجعل تعلقهم على الدنيا أكثر من
الآخرة.. والله المستعان .

٨٣١ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ ...!

■ ما أفلح متشددٌ، ولا فاز غالٍ، حاول التعمق في الأمور الدينية، أو أن يتجاوز كمالاتها، ويضيف عليها، ولذلك فإنَّ الإسلامَ حنيفيةٌ سمحةٌ تُسلكُ بالاتباع والاعتدال، لا بالتشدد والابتداع، جاء في صحيح البخاري رحمه الله، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدُّوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشُرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ ..). فأحكامه كلها يسرٌ، ومضامينه تيسير وتخفيف على الناس، كما قال تعالى: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ) سورة البقرة .

■ ولذلك كان مقصداً أحكامه الرحمة واليسير ، وليس الحرج والتعسير ، فكل من شادَّ أحكامه فقد حاول مغالته، أو ترك الرفق، وحمل نفسه على التشدد ، أو تجاهل الرخص في زمنها... فكلهم سيغلبون، لأنه سيغلبهم ، فالدينُ أوسع منهم ومن تجاربهم ، وفهمه والإيغال فيه يكون برفقٍ وفقه، لا بشدة وغلو، وقد جاء حديث: (إياكم والغلو في الدين).

■ ونبه الحديثُ على معنى السداد : (فسدوا) أي: الزموا السداد، وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط، وهو التوسط في العمل. وحضُّ على المقاربة : (وقاربوا) أي: إن لم تستطيعوا الأخذَ بالأكمل فاعملوا بما يقربُ منه. وحيّاهم وبشّرهم : (وأبشروا) أي: بالثواب على العمل الدائم وإن

قل، والمرادُ تبشير من عجز عن العمل بالأكمل، بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره، وأبهم المبشِّر به تعظيماً له وتفخيماً. ووجه إلى الأوقات المناسبة: (واستعينوا بالغدوة) أي: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة. والغدوة: بالفتح سيرٌ أول النهار، والروحة: بالفتح السير بعد الزوال، والدُّلجة: بضم أوله وفتحها وإسكان اللام سيرٌ آخر الليل، وقيل: سيرُ الليل كله، ولهذا عبر فيه بالتبويض؛ ولأن عمل الليل أشقُّ من عمل النهار، وهذه الأوقات أطيبُ أوقات المسافرين، .. واللهُ الموفق والمعين .

١٣٢ / في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ ..!

■ لن تجدَ أبْلغَ من هذا النصِّ الذهبيِّ في الحِضِّ على الإحسانِ
وبذلِ المعروفِ ، وأنَّ صدقةَ محدودةً تتقالها ، ينجيك اللهُ بها
من عذابِ يومِ أليمٍ .. وما أحوَجنا في القيامةِ إلى حسنةٍ
وَحَسَنَاتٍ ، وأفعالٍ من طيبِ مكتوباتٍ ، عليها تحمينا أو
تصوننا من تلكمُ اللأواءِ... جاء في الصحيحين عن أبي هريرةَ
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي
بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بئْرًا ، فَنَزَلَ فِيهَا ، فَشَرِبَ ، ثُمَّ
خَرَجَ ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ
: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي . فَنَزَلَ
الْبئْرَ فَمَلَأَ حُفَّهُ مَاءً ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ ، فَسَقَى الْكَلْبَ ،

فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ

الْبَهَائِمِ لِأَجْرًا؟ فَقَالَ: " فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ".

■ والكبدُ الرطبة المراد بها الحيوان الحي المحترم ، ولا تكاد

تخلو أحياءنا من هذه الفرص الثوابية ، والنوافذ الإيمانية ،

فاجعل منها سبيلاً إلى الجنة ، ومفتاحاً إلى السعادة، وسبباً في

اندفاع الشر. لأن الإحسانَ عموماً سعادةٌ وانشراح ، وتراحم

وإرفاق ، وشعور واحترام . فيُحَسِّنُ بعضنا إلى بعض،

ونتراحم فيما بيننا، ومن لا يَرَحِمُ لا يُرَحِمُ ...!

■ وفي قولهم: وإن لنا في هذه البهائم لأجراً: دليل على أنتعاملهم

الجاهلي قبل الإسلام كان فيه شناعة، أو قليل المبالاة، وأن

الإسلام ، قد جاء بخلاف ذلك، فطهرهم، ونور حياتهم ،
وزادهم رحمةً وأجورا من حيث لا يشعرون...

■ ومن يتشدد بعناية الغرب بهذا الحديث أكثر من المسلمين ،
فتلقى المؤسسات والهيئات ، وتجريم المسئ في ذلك، يقال
له: ومن الأكباد الرطبة ، بل وأعلاها وأهمها .. الإنسان ، فلا
تُسحَقُ شعوبٌ عزل، ولا تنتهكُ حرمةُ الفقراء، أو تُستعمرُ
ثروات المساكين ... مالكم كيف تحكمون... والله الموفق
والهادي إلى سواء السبيل .

٣٣ / يا خيبة الدهر...!

■ من أشنع ما تسمعُ هذه الأيام من بعضنا سبَّ الدهرِ ، أو لعنهُ ،
والضيُّقُ من ساعاته وتقلباته .. ونقل ما بداخلنا من مشكلات
إلى خيبات الدار وانتكاساته... ومثل ذلك لا يجوزُ ولا
يسوغُ، لقوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن أبي
هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : (قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ ؛
يَقُولُ : يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ . فَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ ؛ فَإِنِّي
أَنَا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا) .

■ معناه أنا صاحبُ الدهرِ ومدبرُ الأمور التي ينسبونها إلى الدهرِ ،
وليس أن من أسمائه الدهرِ سبحانه.. فمن سبَّ الدهرَ من أجل
أنه فاعلُ هذه الأمور عاد سبه إلى ربه الذي هو فاعلها، وإنما

الدهرُ زمان جعل ظرفاً لمواقع الأمور. وكانت من عادة العرب إذا أصابهم مكروه أضافوه إلى الدهر فقالوا: بؤسا للدهر، وتبا للدهر. فلماذا نسبُ الدهرِ ، ونشتم ساعاته ولحظاته والتقصير ربما لو تأملنا هو من أنفسنا ، أو أمور خارجة عن قدرتنا ..! والله تعالى قد كتب كل شيءٍ ، ووجب علينا الإيمان والتسليم..

■ ولكي لا يتورط المسلمُ في ذلك عليه أن يصبحَ ذا كرابه تعالى، متسلحاً بالتوكل عليه ، معتبراً بسير من قبله ، راضياً عند المصائب، صبوراً عند الحوادث ، متجلداً عند المرارات ، مستعصماً بذكر الله على كل حال، مستشعراً دروس القرآن.. (وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو

عَنْ كَثِيرٍ (سورة الشورى . وَأَنْ اللَّهَ لَوْ آخَذْنَا بِأَخْطَائِنَا مَا أَبْقَى
عَلَى ظَهْرهَا مِنْ دَابَّةٍ .. وَفِي الْقُرْآنِ أَيْضًا تَرْبِيَةٌ عَلَى عَقِيدَةِ
الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ .. (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)
سورة الحديد . وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ .

١٣٤ سُكَّةٌ يَتَطَيَّبُ مِنْهَا..!

■ هنا صورةٌ من صور الجمال الحضاري الذي كان يعيشه صلَّى الله عليه وسلم، فعلاوةً على ما في رسالته من الجمال، وما تشعه روحه من الأخلاق الجمالية، كان يضيفُ على ذلك شيئاً من جمال الطبيعة، فيزيِّنُ بها مظهره، ويسكبُ منها عطره، ليُريَ الأنامَ روعةَ الإسلام، وعنايته بالمظهر، وأن الله جميل يحبُّ الجمال... وكما تطيَّب من طيب النساء كما تقدم، هنا كان عطرٌ معروف، وأداةٌ خاصة. يقول أنسُ بن مالكٍ رضي الله عنه كما في سنن أبي داود: "كَانَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُكَّةٌ يَتَطَيَّبُ مِنْهَا".

■ فالطيبُ كان عنصرًا رئيسًا في حياته ، بل له آتته المعروفة
وسُكته المعهودة ، ويُعرفُ ذلك منه ، ويعلمُ أمته بذلك الطهرَ
والجمال ، والحُسنَ والجلال ، ولا يخفى ما في ذلك من التأثير
النفسي والاجتماعي والصحي على الذات والمجتمع .. وهو
أطيب الطيبين عليه الصلاة والسلام...

■ ومن يعتقدُ أن مثل ذلك نوعٌ من الترف الجمالي ، حينما يسمع
بغلاء الأطياب في حياة بعض الناس وعنايتهم الفائقة ... حتما
سيصدم بمثل هذه النصوص ، التي تجسد حالة جمالية عميقةً
في شخصية رسولنا الكريم ، والجميل بأخلاقه وأعطاره عليه
الصلاة والسلام .

■ فكما لك قمصٌ معروفة، وملابسٌ محددة، تتجمل بها فكذلك سيكون لك عطرُك المعروف ، وطيبك الجميل ، الذي يعكس شيئاً من سمو روحك ، وعلاقاتك الجميلة، فيشمُّ الناس منك الرائحةَ الزكية ، كما يشمُّون الخلقَ الجميل ، والكلمة العذبة، والموقفَ النبيل ..

■ وكذلك كان الإسلامُ وشعائره ورسالاته ، جميلاً في مظهره، وجميلاً في مخبره ، وجميلاً في كل تعاملاته وراياته ، .. فليس من الإسلام مثلاً ترك التنظف والتجمل بدعوى الزهادة والتعفف، وقربان الآخرة... بل هو سوء فهم للشريعة، فالذي جاء بالزهد -عليه الصلاة والسلام - جاءنا أيضاً بالسُّنة والطريقة، والسُّكَّة والخميلة ، والخصلة النبيلة... والسلام

١٣٥ / على رؤوس الخلائق...!

■ تصور أنك في موقفٍ مهولٍ شديدٍ صعبٍ، يعكّرُ الأمزجة ،
ويخطفُ الأرواح ، والمجرمون ناكسوا رؤوسهم ، فتُدعى
على رؤوس الأشهاد ، وفي منظرٍ مُرعبٍ .. كلُّ يرجو فيه
النجاة، ويتمنى البشارة... فتُدعى باسمِك هنالك ، فتسري
فيك رائحةُ النجاء والنصر والرخاء... وتُذكر بموقف غضب
دفعته، أو غيظ أزلته لا ارتيابَ إنه موقفُ سعادة، وستغشاك
ينابيعُ السرور من كل مكان، وستحسّ بفضل الله عليك..!
جاء من حديث معاذ بن أنسٍ رضي الله عنه كما عند أبي داود
والترمذي رحمهما الله ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ ؛ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ اللَّهُ مِنْ
الْحُورِ الْعِينِ مَا يَشَاءُ).

■ ومن المؤسف هنا .. كثيرون هم الغضابي عند المواقف
المستفزة ، والأحداث المولمة ، وليس لديهم شعرة من عقل ،
أو مسكة من خلق ، توقفهم ، أو تردع من حماسهم ..! لا سيما
وفي كظم الغضب فضائل باهره، وحدائقه مورقه، ودواعيه
أسرة وليس في ذلك مشقة، لا سيما والقلب مفعم بالإيمان ،
والنفس ريانة بالآداب ، والنص يشير الى المقدرة الذاتية ..
(وهو قادرٌ على أن ينفذه..).

■ فهو يملك آلة الدفع والانتقام ، وتعزيز الذات ، ولكنه رغب في
الثواب، وحرakte منازل الآخرة، وابتغى ما عند الله من فضل

ورحمت ، لا سيما والبيان النبوي يلوحُ له من حين إلى آخر ،
بوصية : (لا تغضب) التي تحميك من الانهيار الخلقى ،
والسلوك السلبي !

■ فاستشعر إذا صدقت مع الله ، أنك محشودٌ محفود في تلكمُ
العرصات ، وقد نوديت على شكل الحفاوة والبهاء من رب
كريم مجيب ، حفظ لك تلك الحسنه ، والتي قد نسيها كثيرون
بعد انقضاء لحظتها ، ولكنها في كتاب عند ربي لا يضلُّ ربي
ولا ينسى .. نسأل اللي جمال الخلق ، وحسن الختام ...
والسلام !..

٣٦ من إجلال الله...!

■ تعجّ حياتنا الاجتماعية بصورٍ كثيرة من الجلال والفخامة ،
وصورٍ أخرى من الهوان والتعاسة ، والإسلامُ جاء بأنواره
المتلألئة ليصلحها ، والسنن طلت بينابيعها لتطهرها ،
والشمائل الإيمانية، غُرست لتضيء ما أظلم منها...! ومن ذلك
حديثُ أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه، قَالَ : قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ
الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَالْجَانِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ
ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ) . أخرجه أبو داود .

■ فرجلٌ كبيرٌ قد شاخَ حاجباهُ في الإسلام ، فيرى بتعبه وعكازه ،
وأحيانًا تشاهده محمولًا في كرسي ، فالحكمةُ والواجبُ

الخلقي يقتضي خدمته والإحسان إليه ، وهو ما عُرف هنا
بإكرامه.. وهو من إجلال الله تعالى . وذلك يقتضي رحمته
وقضاء حاجته سريعاً ، أو تقديمه في الجلوس والخدمة ...

■ نعم وهكذا هو ديننا البهيج ، وتلك منائر أخلاقنا التي تشعُّ في
أرواحنا النبَل والرحمة .. (وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين)
سورة الأنبياء . ومنهم أيضاً: حاملٌ للقرآن وحافظ له، قد
عُرف بحبه وتلاوته، ولكنه في حالة وسطية فضلى ، جعلت منه
مثال الوسطية الرائعة ، وليس فيه غلو ولا جفاء، يأخذه بقوة
أخذ السنة والسلف، لا أخذ الجهل والعنف ، فيكرم بالتقديم
والتصدير ، والحفاوة والتقدير .. (يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أتوا العلم درجات) سورة آل عمران.

■ والصورة الثالثة الجميلة من إجلال الله " وإكرام ذي السلطان المقسط " وهو الأمير العادل، في الناس ، والذي راقب الله فيهم، وانتشرت أفانين عدله في كل مكان ، واستتب الأمنُ بهم، وحُفظت الحقوق ، وانشرح الناس.. فيكرمُ بالدعاء والحفاوة ، وحسن الذكر والثناء، وترك الشتائم والتقييح ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ...) سورة النساء . وفي الحديثِ إشارةٌ إلى حقوق الشيوخ ، والقادة ، والشباب والله الموفق .

٣٧ / لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ ... !

- حتى يُنفِرَ الشارِعُ الحكيم من السخرية بالآخرين ، وأن لا نقللَ من شخصيته ونحطم ذاته، ونضعف تفاعله الاجتماعي معنا، يستعملُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمةً شديدة في الموقف الخُلقي إزاء من يعيرُ أخاه أو يحاكيه سخريةً واستهزاءً ..
- تقول عائشة رضي الله عنها : قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا. قِيلَ تَعْنِي قَصِيرَةً. فَقَالَ : " لَقَدْ قُلْتُ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ " . قَالَتْ : وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ : " مَا أَحَبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا " . روا أبو داود وهو صحيح .

■ يا عجباً كأن تلك الخطيئة التي يتقالها بعضنا ، لو حولت الى شيءٍ سائلٍ فمزج بماء البحر المالح لتعكر وتكدر ..! مما يدل على خطورة هذه الآفات اللسانية ، التي يُطلقها بعض القوم ، وأن شرها فاشٍ ، وامتدادها مهولٌ ، وتبعاتها النفسية على المرء والمجتمع خطرٌ ضارٌ ، يفضي إلى حالة مشيئة قاتلة ...

■ والمستفادُ هنا: صوننا ألسنتنا ، وخوفنا من خالقنا تعالى ، وضبطنا لأخلاقنا ، وأن لا ننجرِف مع حالة العصر الدرامية الضاحكة التي تتفكَّهُ بمثل ذلك ، وتحاكي الأشخاص والدول والأعراق ، ولا تبالي بمقامات الناس ...

■ وفي حالةٍ تطوريةٍ مذهلة، ينفجرُ العصرُ بثورةٍ معلومانيةٍ ضخمةٍ ، ليس أقلها الدراما الضاحكة من خلال السخرية بالناس وأشكالهم معني وحسا ، وهذا مذموم محظورٌ في الإسلام وأدبياته ... فكيف نسلكُ مسلك من لا يعي، أو من فقد عقله ورزاقته، فيعمل على إفساد بيئته وجماليات كونه بمثل تلك الموبقات .. وإنك لتعجبُ ممن يؤسسُ قنواتٍ ومواقعَ هذه الأيام ، ليس له مما يقدمه سوى اللعب على هذه المزالق بطرائق ضاحكة .. فيجمع متابعين ومريدين وملايين ... وتجاهلَ جمعَه لسوء الصيت ، وشناعة العاقبة بعد ذلك ... والله المستعان .

٣٨ / فَيَغْفِرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَّا يُشْرِكُ... !

■ هنالك أيامٌ للجنة والسعادة ، وساعاتٌ للمغفرة والانشراح ، ما ينبغي لعاقِلٍ نسيانها أو تضييع لحظاتها الندية، وثمراتها الرضية... ومن ذلك أيامُ الإثنين والخميس، فهي أيام صيام وغفران، وأيام سلام وتحنان، ما ينبغي جعلها سبباً في الحرمان يقول الرسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (تَفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، فَيَغْفِرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَّا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، فَيُقَالُ : أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) . أخرجهُ مسلمٌ رحمه اللهُ عن أبي

هريرة .

■ وهنا دعوةٌ للتسامح والسلام الاجتماعي والأخوي .. فكم من نزاعاتٍ سببها الشحناء، وكم من خصوماتٍ تولدت بسبب تطاول بعضنا على بعض ، وعدم احترامنا للرباط الديني والإنساني بيننا والمتجاسرُ عليها يحرمُ نفسه وردةً الثواب ، ووردة الصفاء ، فيعيش في غلواء داخلية تحترق، وتتصاعد مع مرور الأيام ...

■ وقد يشعلها جهلٌ خارجي أو غيظٌ داخلي ، لم يُهدَّب ولم يُعالج ... " فَيَقَالُ : أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا " وهنا دعوةٌ عقلانية راقية في توليد عناصر ولجان اجتماعية ، هدفها إفشاء الصلح الاجتماعي والعلائقي بين الناس ، لا سيما وأكثرُ النزاعات قائمة على دعوى: هو أخطأ عليّ أنا لم أسئ والحق

لي لاله وأشباهاها من الكلمات الصّادة عن الصلح
والملاءمة...

■ ومن وحل الدنيا تمسك كل شخص بموقفه ورأيه، وأنه على
صواب، ولا نراعي حكم الإسلام في جمع الكلمة واحترام
الكبير، وتغليب المصالح على الفردية، والحرص على تأليف
الأفئدة، ولمّ الشمل، وأن درء المفاسد أولى من جلب
المصالح، والله الموفق والمستعان .

١٣٩ / مدفوع بالأبواب !!

■ شخصية ارتبطت بها معاني الضعة والتهميش والاستهانة ،
تضيّق منها الناس ، واعتادوا طردها ودفعها ، بسبب هوانها في
عيونهم ، واحتقارهم لذاتها .. ربما لعِزّة مالها ، أو ضعفِ
نسبها ووجهاتها في الخلائق ولذلك إذا جاءت هذه الأصناف
لمناسباتهم طرودها ودفعوها ... وقد رأينا ذلك زمنَ
الطفولة ... فلاحظ مساكين يُدفعون في المناسبات
والاحتفالات بقولهم: على الله بعدين مع السلامة وشبهها من
كلمات التنفير والتضايق وهو ما عناه صلى الله عليه وسلم
بقوله في صحيح مسلم عن أبي هريرة: (رَبِّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ
بِالْأَبْوَابِ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ) .

■ هو صالحٌ مبرور ، ولا يشعرون وهو طيبٌ ميمون وهم لا يدركون وهو مرضيٌّ مبارك.. وهم لا يعقلون وكم من أناسٍ فاض الإيمان على رؤوسهم ولا يلاحظهم إلا قلة .. لأنهم يعتمدون المظاهر، ويعولون على وفرة المال ، وزخرفة الألفاظ والمطامع... بينما صاحبنا ذلك مستكين القلب والروح ، رثيث الحال، بئس المظهر، لكنه يحمل في داخله أنفس الجواهر (لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ).

■ ومن يملك تلك الجوهرة ، أو يستطيع سرقتها أو شراءها إنها عزيزة الوجود ، نادرة المثل .: تتطلب جهدًا ودأبًا، وتلمسُ تضحيةً ومسغبةً... حتى يبلغ أحدنا تلك المنزلة عند الله تعالى ، فيبر قسمه... أي لو حلف على وقوع

شيء أوقعه الله إكراماً له بإجابة سؤاله ، وصيانتته من

الحنث في يمينه ، وهذا لعِظَم منزلته عند الله تعالى ، وإن

كان حقيراً عند الناس ، والله تعالى أعلم .

٤٠ / وأهله الذين كانوا يعملون به..!

■ دقق في هذه العبارة كثيرا ، وتأمل في دلالتها التربوية .. ولا تغتر بما حفظت من كتاب الله، أو جمعت في صدرك، فالعبرة بالعمل لا الحفظ، والمقصد التطبيق لا المظهر والمجموع..! فكم من حفظة كان القرآن حجة عليهم لا لهم...! يقول النّوّاس بن سَمْعَانَ الكِلَابِيّ رضي الله عنه : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ " ، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيْتُهُنَّ بَعْدُ قَالَ : " كَانَهُمَا غَمَامَتَانِ - كَالسَّحَابَةِ - ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ - أَي ضَوْءٌ - ، أَوْ كَانَهُمَا حِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ - أَي

جماعتان - صَوَافٍ - أي باسطات - تُحَاجَّانِ عَنِ صَاحِبَيْهِمَا).

رواه مسلم رحمه الله.

■ فهذا المَجِيءُ حقيقي على وجه الفخار والشرف العلي لهم،

ولكنه نعتهم وأهله الذين كانوا يعملون به... فيخرج من ذلك

من حفظه بلا عمل، أو جعله وسيلةً دنيوية، أو علةً يتعلل بها

والعياذ بالله.. فالإسلام قول وعمل، والقرآن تلاوة وتنفيذ،

والذكرُ تردادٌ وامثال...

■ وعند ذلك ينفعك القرآن، فيُحَاجُّ عنك ويدافع، ويصاوُلُ

عنك ويجاول، لأنك عرفت قدره، وعظمت منزلته،

واستيقنت أحكامه وتوجيهاته.. (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ

بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا وَإِذَا لَأْتَيْنَاهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا
عَظِيمًا، وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (سورة النساء .

■ ومن تجاوزَ ذلك ولم يحظَ بشرف العمل، أو كان يرى في
خلافه .. فلن ينفعه حسنُ الصوت ، ولا جمالُ الترتيل ، وبات
آلة تسجيل صماء، جرداء، ولم يدخل القرآن جوفه، وربَّ
قارئٍ للقرآن ، والقرآن يلعنه عياداً بالله من ذلك! .. والله
المستعان .

٤١ / وَابِكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ ... !

■ نشكو الذنوبَ كثيراً ، ونأسى على خطايانا، ولكننا لا ندخلُ في لحظةِ اعتذارٍ صحيحة ، أو صورة توبةٍ مخصصة، تُضمخ بالدموع، وتُصبغُ بمآقٍ حزينات، لتدل على رجوعنا منها ، وحسبنا ما لقيناه من تبعاتها الموحشة ، ومراراتها المضنية .. !

يسألُ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه رسولَ الله .. : مَا النَّجَاةُ ؟ فيجيبه عليه الصلاةُ والسلامُ بجوابٍ جزلٍ عظيم : (اَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلْيَسَعَكَ بَيْتُكَ ، وَابِكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ) . رواه الترمذي رحمه الله في سننه . فهل جرّب بعضنا البكاء على ذنوبه اذا استشعر محازنها وحرارتها .. وأن البكاء مؤشراً ندم عالٍ، وإحساساً شفافاً بالتبعة ، وأن للذنوب ثِقْلاً لا يطفئه إلا التوبةُ والرجوعُ إلى الله ... !

■ فجرّب أحيانا أن تتعامل مع ذنوبك بمصداقية ، وأنها مقاتل وأرماح غائرة ، ربما ضربت وفتكت، ولذلك عاجلها بالتوبة الصادقة، وبالدمعة المنسابة ، وبالندم الشديد ، وبالإقلاع الأسيف ، وذلك علامةٌ على صحة القلب ويقظته، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: " متى أقحطت العين من البكاء من خشية الله، فاعلم أن قحطها من قسوة القلب، وأبعدُ القلوب من القلب القاسي".

■ وكان هذا منهجًا معروفًا عند السلف، يخافون الذنوب وتباريحها ورزاياها . قال الفضيل بن عياض رحمه الله : "رحم الله امرأً أخطأ، وبكى على خطيئته". ومن مارس الذنوب بلا استطعامٍ لأذاها، ربما اعتادها، ولم يبالِ، وابتلي

بقسوة القلب وطول غفلته .. وما أحسن قول الشاعر أبي

العتاهية رحمه الله:

لَهُونَا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَتَابَعْتَ ** ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ ذُنُوبٌ

فِيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى ** وَيَأْذَنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَتَتُوبُ

إِذَا مَا مَضَى الْقَرْنُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِمْ ** وَخُلِّفْتَ فِي قَرْنٍ فَأَنْتَ غَرِيبٌ

وَإِنَّ امْرَأً قَدْ سَارَ خَمْسِينَ حِجَّةً ** إِلَى مَنْهَلٍ مِنْ وَرْدِهِ لَقَرِيبٌ

نَسِيْبُكَ مَنْ نَاجَاكَ بِالْوَدِّ قَلْبُهُ ** وَلَيْسَ لِمَنْ تَحْتَ التُّرَابِ نَسِيْبٌ

فَأَحْسِنِ جَزَاءً مَا اجْتَهَدْتَ فَإِنَّمَا ** بِقَرْضِكَ تُجْزَى وَالْقُرُوضُ ضُرُوبٌ

أحسن الله حالنا ، وختم لنا بخير... والسلام .

٤٢/ قَالَتْ: إِذَا لَا يُضِيْعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ...!

■ كذا قالت المؤمنة الصبور هاجر عليها السلام، وأنارت لها درسًا في الإيمان واليقين وحسن التوكل على علام الغيوب، وهي تُلقى في رحلة غريبة، وموضعٍ موحشٍ من زوجها سيدنا إبراهيم عليه السلام، كما في قصة زمزم المشهورة في الصحيح: فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أَنْيْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، قَالَتْ لَهُ: اللَّهُ أَمْرُكَ بِهَذَا قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذَا لَا يُضِيْعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ.

■ وقابلت واديهما بكل صبر وإيمان، وتحدي واحتساب، وهي تطالع ذاك الطفل الرضيع، وتلمس له مخرجًا... وقد ثبتها الله

وأعانها، فانتفى عنها ذلك الغمُّ والحزن ..! وإنما ينتفي
الخوف حينما يفيضُ القلبُ إيماناً، ويصبُّ صبراً، ويتراقصُ
تحدياً ويقينا، يجعله يأوي إلى ركنٍ شديد، وموثقٍ أمين، وقد
تجلله البهاء، وأشرقت عليه منائر البهجة والانسراح .

■ ولذلك تحركت وسعت وتلفتت - وذلك سعي الناس اليوم -

حتى جاءها الفرج من الله ، حيث وجدت الملك يضربُ بعقبه

موضع زمزم ، فينبعث الماء انبعاثاً ، تتدفق معه السعادة

والأنوار.. وطمأن الملكُ جبريل عليه السلام، أمَّ إسماعيل

هاجر عليها السلام،.(إنَّها هنا بيت الله بينه هذا الغلام

وأبوه). وأن لا تخافوا ولا تحزنوا من الهلكة والضياع، بنفاد

الماء والطعام، ووحشة المكان، وبعد الصباح والرفيق،

فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين .

■ وكلنا في حاجة ماسة للتعلم من هذه السيدة الصبور، وكيف

واجهت لوحدها ، وصبرت في ذلك المكان الغريب، ..! وإذا

حضرت إلى العمرة في مكة المكرمة ، فاستحضر درسها وزد

من يقينك، واعلم أن هنالك من مر بذلك المكان ، وكان في

لؤلؤة من الإيمان العميق ، وبث علينا من صور اليقين والصبر

ما تخشع عنده النفوس والعزمات ..ولما جعلت زمزم

حياضاً قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ

إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكْتَ زَمْزَمَ -أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ-

لَكَانَتْ زَمْزَمَ عَيْنًا مَعِينًا). والله الموفق .

٤٣ / أن تشبوا فلا تهرموا أبداً...!

■ لو سألت شيخاً كبيراً هريماً، تتابه الأسقام من كل كان : ما تشتهي في حياتك .. لقال: الصحة والشباب . لأن فيهما مادة السعادة ، والقوة ، وموضع النشاط والعبادة، ومراجعة ما فات، وردم سوابق ذلك فكيف لو علمت أن داراً حسناً في انتظارك إذا صدقت النية ، وطاب السلوك، كما في صحيح مسلم في وصف الجنة الجميل .. عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ

تَنَعَّمُوا فَلَا تَبْتَئِسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : { وَنُودُوا أَنْ
تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } " . رواه مسلم .

■ وذلك نعيمٌ رغيد فائقٌ ، لا يتحصلُ إلا في جنات النعيم ، ولا
تستطيع أموال الدنيا كلها توفيره، لأنه يتضادُّ مع طبيعتها!
بينما الآخرة خلود دائم، وعاقة نهائية ، فتعين أن تكونَ بذلك
الوصف الجميل، وذلك الهناء الباذخ ، وتلك المتعة الثابتة
(عطاءً غير مجذوذ) . سورة هود .

■ ولذلك مع مُتعتها الغراء، ففيها صحةٌ بلا سقم، وعناءٌ بلا
انقطاع ، وشبابٌ بلا شيخوخة، وحياةٌ بلا موت، ونعمةٌ بلا
ابتئاس... لأنَّ تلك أسقامٌ دنيوية لا تتناسبُ وخلودُ الجنة
القاتن .. وما عكَّرت الدنيا إلا بمثل هذه الأدواء ، ولذلك

ادخرها العقلاء وجعلوها مطيةً إلى الآخرة وزهراتها الخالدة ،
حتى يُصيبوا النعيمَ على حقيقته، ويسعدوا سعادةً بلا تنغيص
(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ
شَكُورٌ ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ
وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ). سورة فاطر .. نسأل الله من فضله .
والله الموفق .

١٤٤ / وَمِنْ قَلْبٍ لَّا يَخْشَعُ...!

■ أسوأ اللحظات التي تمرُّ على المؤمن العاقل، هي تورطه في داء القسوة والجفوة، فيسمعُ المواعظ، ولا يتعظ، وتقصده الآياتُ فلا ينزجر، وترنُّ فيه الأذكارُ ولا يستذكر ولكنه أحياناً يؤنبُ نفسه ويتفكرُ في ذلك وهو مما تَعَوَّذُ منه صَلَّى اللهُ عليه وسلم كما في حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه في صحيح مسلم: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَّا يَخْشَعُ...).

■ والقلبُ الذي لا يخشعُ أشبهُ ما يكونُ بالقلب القاسي أو قد دنا منه والله المستعان .. قال مالك بن دينار رحمه الله: "إن لله عقوباتٍ في القلوب والأبدان: ضنك في المعيشة، ووهن في

العبادة ، وما ضُربَ عبدٌ بعقوبةٍ أعظمَ من قسوةِ القلبِ " . قال
الله : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ
قَسْوَةً ...) . سورة البقرة .

■ ودواء ذلك: التزامٌ مثل هذه الأدعية ، ومجاهدة النفس ،
ومداعم الخلوات ، والتباعدُ عن المكدرات ، التي من شأنها
صناعة مثله هذه القسوة ، التي تعصف بالمرء وقلبه ، فيبيت غيرَ
منتفع بالقرآنِ ودرسه وذكره ، وتمر به العلوم النافعة ، فلا يعيها
أو يلقي لها بالا .. فيفقد من جراء ذلك حلاوة الإيمان ، وزينة
الذكر ، وبهجة العلم ، وطمأنينة الهداية .. والتي لن تعود إلا
بإقبال صادق ، ومدمع مناسب منيب ، واللهُ الموفق .

١٤٥ / مَبْخَلَةٌ مَجْنَبَةٌ ... !

■ ثمة رباطٌ عاطفيٌّ بين الوالد وأبنائه ، وجسرٌ محبة عميقٌ لا

يردى .. ولا يكادُ المرءُ ينفكُّ عن محبة صغاره أو العيش

بدونهم ، حتى إنه ليفقد بعض صفات رجولته من جراء عنايته

وعاطفته تجاههم ، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم ، كما

في حديث يعلى العامريِّ أَنَّهُ قَالَ : جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ

يَسْعِيَانِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَضَمَّهُمَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ :

" إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْنَبَةٌ " . رواه ابن ماجه وهو صحيح .

ويتحمل كثيرون متاعبَ من أجل سلامتهم وجمالهم ، وفي

هذا يقول الشاعر :

لَوْلَا بُنْيَاتُ كَزُغَبِ الْقَطَا ** * رُدِدْنَ مِنْ بَعْضٍ إِلَى بَعْضٍ
لَكَانَ لِي مُضْطَرَبٌ وَاسِعٌ ** * فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ
وَإِنَّمَا أَوْلَادُنَا بَيْنَنَا ** * أَكْبَادُنَا تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ
لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ عَلَى بَعْضِهِمْ ** * لَأَمْتَنَعَتْ عَيْنِي مِنَ الْغَمِضِ



■ فذلك الحُبُّ قد يورثُ البخل ، ويجعلك تبخل أحياناً ،
وتتخلف عن موارد المروءة بسببهم ، لأنك تخشى عليهم ،
وتخاف عليهم الضيعةَ والمتاعبَ ، فتجمع الدنيا من أجلهم .
وكذلك يمتد ذلك الحُبُّ حتى يورث الجبن ، فلا يشهد
الجِهَادَ والغزوات ، أو يخاف عليهم هم كذلك ركوب
المخاطر ، لأنه يتمنى ملازمتهم على الدوام ، والمتعة بحياتهم

وتربيتهم ، وفي القرآن: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) سورة التغابن .

■ ولو حاول بعضنا التحكم في ذلك الميل العاطفي لتعب وما استطاع ، ولكنه يوازن الأمور بقدر ما يستطيع ، ويسأل الله العون والتوفيق ، فالله خلقهم وابتلانا بحبهم ، وجعل حبه ورسوله ودينه أعظم من محبتهم، ولذلك جاء في الصحيح المشهور قوله عليه الصلاة والسلام : (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَوَالِدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) . وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه . والسلام .

٤٦ / الغني الخفي...!

■ مع أن الإسلام دينٌ وضوح واجتماع واتصال بالعالم ، إلا أنه يحمّد أحياناً تخفي المؤمن واعتكافه على نفسه تربيةً وتبتلاً وإصلاحاً ، لا سيما وأن في الخلوة نوعاً من السعادة والبناء الذاتي ، مما لا يتوفر في سواها ، ومن ذاك قيام الليل ، وهو أحظُّ العبادات على الإخلاص .. جاء في صحيح مسلم رحمه الله عن سعد رضي الله عنه قال ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ) .

■ فهو كمؤمنٍ قد اتقى ربّه وراقبه ، واستغنى بدينه ونفسه عما في أيدي الناس ..! وزاد خصلةً ثالثةً زاكيةً وهي التخفي والخمول ، والتباعد عن الشهرة والذئوع ، يؤثر الخلوة على

البروز ، والوقار على الانتشار ، .. والسببُ أن ذلك أروحُ
لقلبه ، وأحفظ لدينه ، وأضبط لخلقه .. وكم أفسدت الشهرةُ
من أناس كانوا على خير ، كوسائل الإعلام حاليا وما تحدثه في
القلوب والنيات ...

■ وليُعلم أنه ليس كلُّ الناس تصلح له الخلطة والاجتماع ،
فيوجد نفوسٌ لا يحفظُها إلا العزلة والتخفي والتقلُّ من
ملاقاة الآخرين ، وتعتقد أن الشهرة قاتلةٌ ومضرة لها...!
وأحيانا توفق للإخلاص ، وترى أن المعرفة ضارةٌ بها ،
والشهرة مفسدةٌ لخيرها ، فتخالط الناس على جهالة ، وتتهم
نفسها على كل حال . وقد كان هذا معنىً حاضرا في
حياة السلف رحمهم الله . يقول مالك بن دينار رحمه الله :

"لو أن منادياً ينادي بباب المسجد: ليخرج شرُّكم رجلاً، والله ما كان أحدٌ يسبقني إلى الباب إلا رجلاً بفضل قوةٍ أو سعي. فلما بلغ ابنَ المبارك قوله هذا قال: بهذا صار مالك مالكا". ونُقل عن الفضيل رحمه الله: "من أحب الرئاسة لم يُفلح أبداً". وعندما قيل لأبي عبد الله - إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: "ما أكثر الداعين لك فتغرغرت عينه، وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً....". والله الموفق .

٤٧ / أبشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ... !

■ ما أطيّبَ البشرى على قلوب أهل الإيمان ، وما أجملَ أن تكونَ سببا في ذلك ... والبشرى الحقيقية هي بشائرُ الإيمان ، من تحقيق منال، أو بلوغ منزلة ، واندفاع كرب، أو توبة الله عليك ، أو صلاح حالك وأبنائك ... جاء في الصحيحين في قصة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه: " فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ : أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ، قَالَ : قُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ : لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلّم إذا سُرَّ استنارَ وجْهُهُ حَتَّى كَانَهُ قِطْعَةً قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ ...".

■ وفعلاً كان ذلك خيرَ يومٍ وأسعدَه على كعب رضي الله عنه، حيث انزاحت الغمة، وزالت المحنة، وانشرحت القلوبُ بعد تعبها، ورُحبت الأرض بعد ضيقها.. وتهللت النفوس، وانمحت الأحزان، وطارت الضيقاتُ... وقد شاركهم صلّى الله عليه وسلّم فرحتهم بذلك وبشر كعباً وأصحابه، وهو الذي عاقبهم في البداية خمسين ليلة من القطيعة، ولكنه وكلّ أمرهم وصدقهم إلى ربهم تعالى، فصدّقهم الله... (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وقبلها قال.. (وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا). سورة التوبة .

■ وهذا هو الفرح الحقيقي، الفوز برضا الله تعالى ، ولمثله
تتداعى النفوس وتحتشد، وإلا فأفراح الدنيا كثيرةٌ، ولكنها
ليست بمثل هذه المنزلة ، فتؤخذ باعتدال ، قال تعالى : (قل
بفضل الله وبرحمته ، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)
سورة يونس . فالجمعُ الحقيقي والبهجة للقرآن ورحماته
وهداياته ، وما تسرب منها ، وفقنا الله جميعا لطاعته وحسن
العمل ..!

٤٨ / فَادِعُ اللّٰهَ اَنْ لَّا اُتْكَشَفَ...!

■ المرأةُ عموماً ذاتُ حياءٍ وعفةٍ في الغالب، ولا تُبدي جسمَهَا لأحد، ولا تخالط الرجال، وتزيد المؤمنة بسبب إيمانها وأخلاقها، وما يغرسُ داخلها من مزهرة أخلاقٍ فائقة، ولذلك لا تخرج من بيتها إلا بحجابها الساتر العميم، وتستعفُّ من كل مظهر رجولي لا يليق بالمرأة ومن ذلك كشف الجسد، حتى يراها الآخرون، وفي حديث المرأة التي كانت تصرعُ زمن رسول الله أعظم برهان وعبرة. قال عطاءُ بنُ أبي رباح كما في الصحيحين، : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ : إِنَّي أُصْرَعُ،

وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي. قَالَ: "إِنْ شِئْتَ صَبْرْتِ وَلَكِ
الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ". قَالَتْ: "أَصْبِرُ.
قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا".

■ فهي مع مرضيها وعذريها تُعطينا درسًا في الأخلاق والحجاب ،
وتعلّم المرأة المؤمنة أن لا تتساهل في حجابها، وأن الستر
طاعةٌ عظيمة ، وأن الحياء مغروسٌ في النفوس ، لا تخرقه إلا
دعاوي الكاذبين ، وتزييفات الإعلاميين الملمّعين ، قال
تعالى: (يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) سورة الأحزاب.

■ وما أحوَج النساء في عصور الانفتاح إلى مثل هذا الدرس
المؤثر ، وأن لا يجعلوا من أجسادهن سلعًا معروضة ،
وبضائع فاتنة ، أو ملابس مزخرفة ، يلامسها كلُّ عابر، ويتفكه

بها كل سائر وزائر ، والله المستعان . وما أروع قول شاعر

النيل رحمه الله :

الأمُّ أستاذُ الأساتذةِ الألى ** شغلت مآثرهم مدى الآفاقِ

أنا لا أقولُ دعوا النساءَ سواً فِراً ** بينَ الرجالِ يجلنَ في الأسواقِ

ربّوا البناتِ على الفضيلةِ إنّها ** في الموقفينَ لهنَّ خيرٌ وثاقِ

وعليكم أن تستبينَ بناتكم ** نورَ الهدى وعلى الحياءِ الباقي



والله الموفق ...

١٤٩ / أن تدعوا الله بصالح أعمالكم..!

■ عبارة تشدُّ المؤمنَ اليقظَ، الراجي ما عند الله والملتطع إلى فضله ورحمته... وهو ما قاله الثلاثة النفر أصحاب الصخرة، في حديثهم المشهور في المتفق عليه... عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " انطلق ثلاثة رهطٍ ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيتَ إلى غارٍ فدخلوه، فانحدرت صخرةٌ من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. فقال رجلٌ منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران،..."

■ (بصالح أعمالكم) شيءٌ تمحض عندك لله، خلت منه الشهرة،
وتباعد الرياء، وتعتقد جازماً أنك لم تقم إلا لله، وما تحركت
تلك الأعضاء إلا حباً وحسبةً للواحد الأحد...! وهذه
لحظات ايمانية نورانية يجود بها المولى أحياناً على بعض
المخلصين، فيوفقون لذلك، فتقع منهم حسنات وفضائل، ما
كان لهم فيها طولٌ ولا حولٌ، وتجردت منها كل المقاصد
الدنيوية.. (فاعبد الله مخلصين له الدين ألا لله الدين
الخالص). سورة الزمر . يقول سهل بن عبد الله رحمه الله :
"الإخلاص أن يكون سكونُ العبد وحركاته لله". وقال أبو
عثمان رحمه الله : " نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى
الخالق".

■ فكانَ عملَ الأولِ منهم برُّه بأبويه ، وحرمانه الأبناء اللبن ، حتى يشرب الوالدان الكريمان ، والثاني عفته ، وتباعده عن الوقاع في ابنت عمه ، وقد ألجأتها الحاجة والفقر ، والثالثُ أمانته مع عماله ، وحفظه لحقهم حتى عودتهم ، وكل واحدٍ يقول :

(اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجِهَكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ . فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ) . تخيل أنك تقلُّبُ سجلَ حياتك ، وتنظر أرجاها إلى الله ، وأبعدها عن المرءاة ، وأحسنها في المصداقية ، لا سيما في حالات الاختبار ، والله الموفق .

٥٠/ وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ...!

■ لحظةٌ تاريخيةٌ ومصيريةٌ قد تناساها كثير منا، ولكنها ستحضر يوماً من الأيام .. ولكن في زحمة متاع الدنيا يتنامى الحرصُ على المال ، ويشتد الطمعُ المزخرف .. ولو عُرض عليه بدلُ الدراهم ترابٌ لانزعج ، ولو كُبَّ على رأسه ترابٌ بالخطأ لصرخ... ولكنه في موعد مع الترابِ المصبوب، وفي لحظة أسيفة مع الثرى المسكوب... حينما نُغادر جميعاً هذه الدار ، ونترك ما خلفنا من أمتعةٍ وثرورات ، فنُقبر ويكُفُّ الناسُ علينا التراب ... يقول أنسُ بنُ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : (لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَاِدٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَحَبَّ أَنْ لَهُ وَادِيًا آخَرَ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَاللَّهُ يُثَوِّبُ عَلَيَّ مَنْ تَابَ). أخرجاه .

■ والمعنى : لا يزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره ..! فهو ابتداءً من التراب وانتهى حاله إلى تراب ، وسيدفنُ بالتراب وتمتلئ روحه منه... (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى). سورة الأعراف. وقد قاتل في الدنيا على التراب ثم انتهى حاله اليه ، وقد حضرته ساعة الأجل ، وحمله الناسُ كُلُّ إِبْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولٌ...!

■ وهي لحظةٌ جديرة بالتأمل والاتعاظ تذكرها وعشُ زمنها واستشعرها وأنت تلقي التراب على عزيز أو حميم مربك... ومن المؤسف عدم اهتمامنا بذلك، وحرصنا الفاقع على الدنيا، وتقاتل الأحبة عليها، ونسيانهم ادخار شيء من ذلك لساعة الفرح الحقيقي...! قال الإمام ابن القيم رحمه الله : "

فأين عقلٌ من آثرَ لذةً عاجلةً منغصةً منكدةً ، إنما هي كأضغاث
أحلام ، أو كطيف تمتع به من زاره في المنام ، على لذة هي من
أعظم اللذات ، وفرحة ومسرة هي من أعظم المسرات ، دائمة
لا تزول ولا تفنى ولا تنقطع ، فباعها بهذه اللذة الفانية
المضمحلة التي حُشيت بالآلام ، وإنما حصلت بالآلام ،
وعاقبتها الآلام فلو قايَسَ بين لذتها وألمها ومضرتها
ومنفعتها ، لاستحيا من نفسه وعقله ، كيف يسعى في طلبها
ويضيع زمانه في اشتغاله بها ، فضلاً عن إثارها على " ما عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " . والله
المستعان .

تم كتاب (طلعة الشمس) بحمد الله
وتوفيقه ، والحمد لله الذي بنعمته تتم
الصالحات .

إصدارات المؤلف :

صدر له أكثر من (١٠٠) كتاب منها :

- سلالمة العلم ومدارجُ الفهم .
- الخطبُ الحديشية
- أربعون المعالي
- الأربعون الأكثرية
- موقظاتُ التدبر القرآني
- نثار العلم
- من جماليات السيرة النبوية
- محائليات (شعر)
- اليراعةُ الرمضانية
- مواقف علمية للأئمة الأسلاف . وكلها من (دار تكوين) .
- طلائع السلوان - دار ابن خزيمة .

- نسماتٌ من أم القرى .
- مواتُ المروءة (شعر)
- وطن ومنن (شعر)
- الطلاب الأعظم (شعر)
- فهزموهم بإذن الله (شعر)
- توهجات النيل (شعر)
- كورونا وليمونا (شعر)
- مدائن الألباني. (شعر)
- عاصفة الحزم (شعر)
- اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم .
- سلسلة أربعينيات حديثة متنوعة .
- أزاهير الروضة

- شجن المنابر
- قواعد قرآنية لفهم الدعوة .
- مقدمات التغيير النبوي .
- من جماليات السيرة .
- الاحتفالُ بالسبع الطوال .
- شجنُ المنابر وهتنُ المحابر .

للتواصل :

hamzah10000@outlook.com

